

د. كلود يونان

التفصيل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي

(الحركة السفسطائية نموذجاً)

بحث في فلسفة التفصيل الكلامي الدعائي الإعلاني السياسي



دار النهضة العربية

منتدی سور الانزبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي

(الحركة السفسطائية نموذجاً)

دكتور كلود يونان

التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي

(الحركة السفسطائية نموذجاً)

بحث في فلسفة التضليل الكلامي الدعائي السياسي

الإهداء

الى روح والدي الياس
والي والدتي جوليات

تقديم

يسرني أن أقدم للقراء، لا سيما منهم الذين تستهويهم الفلسفة ومسانلها المعرفية والحياتية، كتاب الدكتور كلود بونان. «التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي (الحركة الفسطائية نموذجاً)». الكتاب كما يحذده الكاتب في عنوانه: بحث في فلسفة التضليل الكلامي الدعائي الاعلامي السياسي.

أسعدني الحظ بأن رافقت مسار المؤلف منذ كان طالباً في قسم الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية، ومن ثم اثناء اعداده بإشرافي أطروحة دكتوراه فنة أولى في الفلسفة والعلوم الانسانية في جامعة الروح القدس - الكسليك، في موضوع التضليل عينه، وهي المادة الأساسية التي أدت إلى مجلد أول بعنوان «طرق التضليل السياسي»، ومن ثم إلى هذا المجلد في التضليل الكلامي وآلياته.

قبل الدخول في صلب محتوى الكتاب، أود الإشارة إلى أنه ثمرة إرادة فذة وبحث دؤوب وتفكير شخصي معمق إذ أشبعه بحثاً متناولاً بالتحليل طرق التضليل السياسي ومن ثم التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي. لم يغيب عنه حتى التضليل في عالم الحيوان فإذا به يستعرض بعض معالمه على هذا الصعيد قبل أن يتطرق إلى سائر مظاهره على صعيد الفكر الانساني بعامة، انطلاقاً من فلسفات الشرق القديمة وصولاً إلى ما يشكل المضمون الأساسي لهذا الكتاب، ألا وهو تحقيقات التضليل في الفلسفة اليونانية لا سيما في الحركة الفسطائية وطرق التضليل الكلامي عند أهم اعلامها. على أن غوص الكتاب

إلى عمق الحركة السفسطائية وكشف أساليبها واماطته اللثام عن ألياتها لا تقتصر على حقبة الفلسفة اليونانية، بل تركز عليها لتناول التضييل الكلامي المعاصر وطرقه. لا يشكل هذا الانتقال جذّة فحسب، بل يجعل البحث الفلسفي هادفاً إلى معالجة قضايا معاصرة بعمق وفعالية. فضلاً عن هذا الوصل بين البحث الأكاديمي والحياة في تجلياتها المعاصرة، يلفت الانتباه اتساع حلقة الجمهور المعني بقراءة الكتاب والافادة منه. ويشكل هذا الكتاب، بحثاً أكاديمياً يتوجه بادیء ذي بدء إلى الاختصاصيين في الفلسفة والعلوم السياسية والاجتماعية، ومن ثمّ إلى رجال السياسة وقادة الرأي والأحزاب السياسية والإعلاميين على أنواعهم، فهو ليس بمغلق على سائر القراء، لأن التضييل واقع يزداد اتساعاً وفعالية بازدياد التواصل بين البشر وانتشار العولمة وما يواكبها من أنماط اقتصادية موحدة، وممارسة إعلامية دعائية. كيفما يتحرك الانسان في هذا العصر، يتعرض لحملات دعائية تعمل على الترويج لمصنوعات ومتوجات تحاول اقناعه بشرائنها، ويشعر في الوقت عينه بأنه هدف تركز على اغرائه وكسبه وتسييره سياسات وايدبولوجيات ومواقف تحاول دفعه إلى تبنيها والانحياز لها. أهو يقرأ صحيفة أو مجلة أو كتاباً، أم يشاهد برنامجاً متلفزاً أم يصغي إلى برنامج سمعي! أهو يتواصل مع أيّ ممن يتعاش ولإياهم ويشارك وإياهم المصير والكيان والتفاصيل الحياتية على أنواعها! أهو يقوم بأي نشاط سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو ديني أو إعلامي أو سياحي...، أم هو يبحث عن الخير والحقيقة، في أيّ من هذه المواقع والمواقف، وفي أيّ من هذه المناسبات اليومية، بل الآنية، في أيّ من الأحوال والأعمال، هو دائماً مستهدف يثير شهية المضللين (بكر اللام) على أنواعهم فينقضون عليه ويشبعونه استدراجاً واقناعاً واستغلالاً، تحت ستار الارشاد إلى ما يُبرز على أنه صواب والإبعاد عما يوصم بأنه سراب.

فالتضييل يحاصرنا في كل آن ومكان، في الحوانيت والمعارض وصلات

المبيع والمصانع، عبر الياфطات والدعايات التي تحتل الساحات وجوانب الطرقات، في الخطب النارية، في الاتهامات والردود عليها التي تبارى على المنابر وشاشات التلفزة، في العنف الكلامي والإلزام بمنطق القوة على أنه المنطق الحق، في أحيال الاغراء والاعواء والكذب والرياء، في اختلاق الاشاعات والدعايات المفترضة، في الخداع والتمويه والتعمية وسائر أنواع التمظهرات والتكيف، في تبريرات المسؤولين ووعود القادة الانتهازية والنغمة المتسرة بالخير العام والاصلاح ومحاربة الفساد، والداعية إلى غد أفضل إذا ما أخذ المشاهدون والمستمعون أو الناحبون بالرأي المطروح، في كل ما يُحْطَط لاجتذاب الناس وسَوْقهم عشوائياً وآلياً تنفيذاً لغايات ومآرب ومصالح... والمؤسف أن معظم هذه المخططات ينجح. ولا حاجة للبراهين على فاعلية آليات التفضيل المستخدمة. يكفي أن نبيّن حجم الانصباع والانسياق، ومدى التحزب الأعمى، ليس بين العامة فقط، بل في صفوف المثقفين والأكاديميين معلّمين وطلاباً وأصحاب المهن المتتورين كالأطباء والمهندسين والمحامين على سبيل المثال لا الحصر، ناهيك بالمرجعيات والفعاليات المفترضة على الصعد الدينية والسياسية والاجتماعية والنقابية، فالتفضيل سيد الكلام ومحرك المواقف وضمانة المواقف، وما أصعب مهنة الباحثين عن الحقيقة!

أهمية كتاب الدكتور كلود يونان أنه يصبّ في سبيل السعي إلى الحقيقة، بارشاده إلى ما ينتقص منها أو يشوّهها. فهو يتناول بالتفصيل والتمحيص محاولات السيطرة على الرأي، وما أكثرها في مجتمعاتنا هذه الأيام!

في كل المجالات نشهد زحمة آلهة كذبة بأزياء سياسية ودينية واجتماعية تزعم أنها على حق وأصالة، في حين يسدل الستار على زيفها وتحاط بهالات من المثل والقيم، جذابة بראהة. السلطة والوجاهة والجنس والمال محط أنظار وطموحات وأطماع تهون في سبيل الحصول عليها خطوات ليس أقلها تخدير العقل وشلّ الحس النقدي. ومن يقع في شباكها يستسلم للمنطق الخاص الاستثنائي المتحكّم

بالسعي إليها. لا يزعمه أن تستعد طاقاته الفكرية وتستخدمها لمصلحتها، بل أن تنزل برقعاً أمام ناظريه وحجباً يعتاد على رؤية العالم من منظارها. من هنا تنبع الفائدة التي يستطيع كل قارئ للكتاب جنيها. من غايات الفلسفة الأساسية الإرشاد إلى الحقيقة، وإنهاء الحس النقدي لدى طلاب هذه الحقيقة. بتركيز المؤلف على التضييل وطرقه وآلياته يقوم بعمله كفيلسوف، بل كمحام مدافع عن الحقيقة، حريص على كشف كل زيف أو تزوير يحيط بها، ويسهم في إبراز أهمية الفكر الناقد الواعي.

بورك للكاتب الصديق هذا المولود الجديد، وهينئاً للقراء بهذا الانجاز الفلسفي الكفيل بكشف التضييل والمضلّين (بكر اللام) والتثنية على الحس النقدي الذي لا بد من أن يواكب كل بحث عن الحقيقة، أكاديمياً كان أم حياتياً. والأمل كبير في أن يثمر العطاء لدى الكاتب دفاعاً عن الحق أمام أقواس العدالة، أو في معمعة التنافس السياسي واتساع وقع التضييل الكلامي، وبرز الحاجة الماسة إلى أصوات تنادي بالحقيقة بتجرّد وموضوعية وتحصن الساعين إليها بمنطق مضمون الأساليب والطرق. ليتنا نستطيع على خطى الرسل والأنبياء أن نطرد الباعة والتجار من الهيكل، فنُزل الأوثان والأصنام عن عروشها ونكفّر بأحاييل الشيطان المجرب وأضاليله! ليتنا نتوصّل إلى كشف التضييل أينما يحصل فنعبّ من الحقيقة دونها خوف أو وجل أو انحراف!

البروفسور انطوانات فارس نعيم

المقدمة

- 1 -

عندما درست الفلسفة في الجامعة اللبنانية ، وبخاصة مادة " الفلسفة اليونانية " تطرقنا الى الحركة السفسطائية عرضاً ، وبعد ان حاولت التعمق العامودي في الفكر الفلسفي والسياسي عند اليونان ، اكتشفت الفلسفة السفسطائية ، هذا الكثر الفكري الذي كان له الفضل المهم بتأسيس الفلسفة المعاصرة بشقها البرغماتي المنطقي ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، الفلسفة البرغماتية التي تناولها السفسطائي بروتاغوراس ، أصبحت من المذاهب الفلسفية العالمية المدرسة عالمياً وبخاصة في اميركا والمدارس والجامعات الأنغلوسكساونية ، أما " فلسفة القوة " التي تناولها الفيلسوف نيتشه عندما تكلم على إحدى تجلياتها المتظهرة بـ " السوبرمان " ، تبين أنها ليست إلا إستنساخاً متطوراً " للمترونيثروبس " أي " الإنسان المسيطر " الذي تناوله بروتاغوراس عندما عالج فلسفة القوة .

- 2 -

عند مناقشتي للدكتوراه في الفلسفة والعلوم الإنسانية ، وهي بعنوان : (التضليل في الصراع السياسي) وذلك في جامعة الروح القدس - الكلييك - عام 2005 وضعت على سلم الإشكاليات تساؤلاً مفاده : هل ان للتضليل فلسفة ؟ كما للسياسة فلسفة وللتاريخ فلسفة وللقانون فلسفة ؟ وهل ان بعض الاتجاهات في الحركة السفسطائية هي اتجاهات فلسفية ؟ وما هي علاقتها بالتضليل ؟ فكان

الجواب على جملة الإشكاليات هذه، مجموعة من الإثباتات.

- 3 -

لقد أثبت بالمنهجية العلمية والفكرية والبحثية، العناصر المكونة لفلسفة التضليل وطرائقها ، وأعطيت البراهين العقلية والحسية أن بعض الاتجاهات السفسطائية هي اتجاهات فلسفية ، وإن للتضليل فلسفة ، وإن بعض الاتجاهات السفسطائية كان لها الفضل المتميز بالمساهمة في تأسيس " فلسفة التضليل " وخاصة "التضليل الكلامي" وفلسفة الدعاية والإعلام ، بالطبع مع عدم إنكار الإسهامات الفكرية والعلمية العظيمة، لكثير من الفلاسفة والمفكرين والاستراتيجيين الذين أغنوا "فلسفة التضليل" من تراثهم ، المؤيد منهم للتضليل أو المواجهة له .

- 4 -

والقول أن بعض الاتجاهات السفسطائية كان لها الفضل الكبير في إطلاق فلسفة " الدعاية والإعلام "، هو قول مدعّم بالشواهد الفكرية والتاريخية . فإحدى أقدم مدارس الخطابة والبلاغة والدعاية أسسها إسكراطوس أو (إيزوقراط) السفسطائي، وسميت بالمدرسة الإسكراتية ، هذه المدرسة لقنت الساسة اليونانيين فنون الخطابة والبلاغة والدعاية، وأساليب الديماغوجية والسيطرة الكلامية على الناس . أما معلم إيزوقراط، غورجياس فهو الذي شرح علاقة "اللوغوس الكلامي" بـ "الذوكسا" أي (الرأي) . وقد تطرق بتفصيل عن آليات سيطرة اللوغوس الكلامي ، على الرأي أكان فردياً أو جماعياً ، وصف خصائص اللوغوس الكلامي ، معتبراً آياه رمزاً للقوة والسلطة والسيطرة والسحر والإغواء والإجتذاب والتضليل بتمظهراته كافة . بعكس (الذوكسا) الرأي المتشكل من الظن غير المتيقن ، ومن العجز ، وعدم القدرة والتناقض ، لقد أعلن غورجياس

وأثبت سيطرة الكلام على الرأي ، فالكلام هو " الديناميكية المتحركة " إغرائية كانت أم تحريضية ، تفرض إرغاميتها على الرأي تؤثر فيه وتتلاعب به ، تقنعه ، تسحره ، تخيفه ، تجتذبه وتضلّله . اللوغوس الكلامي في عصرنا الحاضر يمثل بساتر وسائل الدعاية والإعلام حيث يحصل استخدام واستعمال الكلام بتمظهرات مختلفة مقرأ ، مكتوبة ، متلفزة وعبر شبكات الأنترنت ، والذوكا (الرأي) يمثل الرأي العام ، والرأي الفردي والرأي العالمي وسائر أوجه الآراء وتنوعاتها .

تمهيد

ليس التضليل الكلامي السلاح الوحيد في عمليات الصراع السياسي . بل هو إحدى أدواته الهامة . التضليل الكلامي له قوة جبارة لأنه يركز الى الكلمة ومفاعيلها ، لكون الكلمة تسيطر على المعاني والمفاهيم .

المعنى لا يولد في المجتمع من دون الكلام ، ذلك ان هناك تفاعلاً بين الكلمة والمعنى . ودراسة التضليل الكلامي وتظاهراته في الخطاب السياسي الملفوظ أو المكتوب ، يعني دراسة للعقل متج هذا التضليل . ودراسة الكلام تعني دراسة للعقل الذي عبر عن مكنوناته بواسطة هذا الكلام ، فمن خلال دراسة التضليل الكلامي ، يمكن الكشف عن طرق التفكير التي يستخدمها المضللون ، كما الكشف على تحركات هذا التفكير في الدلالات عن النوايا والخفايا والخطط والقدرات والمواقف ، كما يمكن ايضاً تفكيك الآليات العقلية التي يستعملها التضليل الكلامي في تحقيق ذاته .

تبدو طرق التضليل الكلامي كثيرة ، وآلياته متعددة ومتطورة مع الحداثة والعصر . ويستخدم التضليل الكلامي المبالغات الصورية ، ويتنزه فنون الشعر والخطابة ، يقعد أسسه على الذاتية الأهوائية وعلى الخيال الجامح ، وعلى الإيحاءات إغوائية كانت أم عنيفة ، الكلام المضلل تنهزه الحروب الدعائية والنفسية لقتل النفوس وتحقيق الانتصارات ، أما السلاح الإيديولوجي الذي يستعمل سلطان الكلام ويتفنع به ، فإنه يوازي بمفاعيله السلاح النووي والذري . الصراع الإيديولوجي يركز الى المقارعات الكلامية والفكرية للوصول الى النصر السياسي . فلا يمكن

القضاء على عقيدة إلا بعقيدة أقوى منها ، ولا يمكن مواجهة ايدولوجيا إلا بواسطة ايدولوجيا أمضى منها ، وما العقائد والايديولوجيات إلا انتاج فكري يتمظهر بواسطة الكلام .

وفي عصر " الثورة المعلوماتية " ، نعيش " الصراع المعلوماتي " عبر شبكات الانترنت " ، تلك التقنيات التكنولوجية المتطورة ، تركز في شاشاتها المتسللة، عابرة الأمكنة ، الى المعلومات المتروضة في " الكلمات " ويحصل الصراع السياسي عبر هذه الوسائل ، بواسطة " الكلام " الذي يتتهج ، في كثير من الأحيان التضليل ، منهجاً له .

وعلى الرغم من التطور التكنولوجي الهائل ، فإن قواعد كثيرة ومشاركة ما زالت تربط التضليل الكلامي المعاصر بالتضليل الكلامي القديم ، فالتضليل الكلامي في البوليس (Polis) اليونانية كان موجهاً الى المكونات السيكلوجية الغرائزية والعقلية للجماهير ، والتضليل الكلامي المعاصر يتوجه ايضاً الى الجماهير . الطبيعة الانسانية واحدة ، تكاد تكون هي هي ، أمس واليوم وغداً ، لأن مكونات الجيلة الانسانية هي ذاتها في كل مكان وزمان .

إننا في هذا الكتاب نكشف عن وجه مغمور في الفكر الفلسفي ، وبخاصة الفكر الفلسفي السياسي والمتمثل " بتراث الفكر السفسطائي " الذي يعتبر من ابرز مصادر " فلسفة التضليل السياسي " وخاصة " الكلامي " . وقلنا فلسفة التضليل السياسي ، لكون الفلسفة لم تعد كما يقال الكثير حولها على انها " محصورة في الماورائيات . والمنطقيات الجوفاء ، والنظريات الكونية التي طغت على مضامينها لقرون خلت ، إنها أمست قابضة على ثنايا الواقع ، عبر العلوم الإنسانية ، سياسياً واقتصادياً ، واجتماعياً ، وثقافياً . لم تعد الفلسفة انساقاً متذبذبة ، ولا أفكاراً ممنهجة ، إنها القول يمكن ان يقال في مقابل واقع يمكن ان يتطور بمزيد من الوعي والاندفاع نحو الممكن حصوله . فباتت هكذا مهنة فكرية نمارسها بإنتاج مفاهيم

وأفكار وطرق تنسجم مع بيئة أو ظرف أو حياة" (٥٠)

لم يعد يُراد بالفلسفة فقط ، البحث في المعاني والحقائق والماورائية . إنما ينبغي على المبدعين فيها ، الانحدار لمعرفة المعاني والحقائق الواقعية والظواهر الإنسانية. فمهمة الفلسفة لا تنحصر في التأمل فحسب ، بل تنطلق منه لملاقاة الواقع ، وإدراك الظواهرات والحقائق الإنسانية المنغمسة على أرضية واقعية . لقد رأى أفلاطون قديماً ، ان الغاية من الفلسفة والتأمل هي السياسة ، موصياً بوصل التأمل بالتجربة والمشاركة في الحياة العملية ، حيث قال : " يجب ان لا نتبع للفلاسفة ان يقضوا حياتهم في التأمل والدرس ، بل نُلزمهم بالانحدار من أعالي التأمل ، الى الحياة العملية والى مشاركة الشعب في حياته " . فدعوة الفلسفة ، لا تصبح فقط في تكديس المعارف التجريدية ، والبحث في المطلقات ، بل تهدف الى التغلغل في حياة الناس ، وفي تفاصيل عيشتهم ، وكيفيات ملكياتهم ، الفلسفة يجب ان تكون عضد الإنسان لا عقة في وجهه ، هدفها حل معضلات الحياة ، وتفكيك أسرارها ، وتبسيط معطياتها ، انها موجهة الى خدمة الإنسان وليست لتعقيده . وإذا كان هدف المتفلسف التأمل فقط ، يكون " كالمهندوسيّ الصوفي الذي لا غاية له في الحياة إلا تركيز بصره على سرّة بطنه " (٥١) .

انطلاقاً من هذا الموقف العملي لا النظري فحسب ، فإنه لا يمكننا إعطاء الفلسفة تحديدات حصرية ، لأن ذلك يؤدي الى تضيق نطاق فعاليتها ، ذلك ان المحدودية ، تتناقض وطبيعة الفلسفة المفتوحة ، الجامعة ، الشاملة البعيدة عن الاستتار والمنع .

(٥٠) "بعض ما جاء في مطالعة د. جيار جهامي عام 2005 في جامعة الروح القدس - الكسليك عند مناقشة أطروحتي لنيل الدكتوراه فئة أولى في الفلسفة والعلوم الإنسانية"

(٥١) قول للمفكر ستينا (جورج) فيلسوف وكاتب اميركي (1863) ، من كتاب " قصة الفلسفة من افلاطون الى جان ديوي ، ترجمة فتح الله محمود المنعم ، مكتبة المعارف - بيروت ، 1975 ، ص :

هذه الرؤى المتقدمة في مفهومية الفلسفة المعاصرة ، كان قد سبقنا إليها
السفطانيون الذين ذخروا الفلسفات المعاصرة من ذخائرهم الفكرية القيمة في
شتى المجالات الفكرية والواقعية .

وعلى الرغم من ان إتجاهاً كبيراً في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي وسم
السفطانيين بأنهم "المضلّلون" و"معلموا التضليل" ، فإن هذا الوسم لا ينسحب
على السفطانيين كافة ، بل على بعض أهم اتجاهااتهم الفكرية المتمثلة ببروتاغوراس
وغورجياس وإيزوقراطس ؛ بالرغم من إنجازاتهم الفكرية العظيمة .

لقد وضع غورجياس قواعد التضليل البيكولوجي عندما كشف ازدواجية
الشعور في النفس (الاميغالونس النفسي) ، ووضع قواعد التلاعب به وتوجيهه
بواسطة اللوغوس الكلامي . وكذلك وضع إيزوقراطس قواعد التضليل
الكلامي عبر الخطابة والتكيف الكلامي . أما بروتاغوراس ، زعيم الحركة
السفطانية ، فهو المساهم في تأسيس التضليل الكلامي الموجه الى العقول ،
الذي استعمل الجدلية الكلامية " الأرسنيكية " التي تقوم على البهلوانية اللفظية
والقياسات الموهمة التي لا تثبت شيئاً ، غايتها الإفحام والتسلط باستعمال قوة
الكلام . وجدلية " الانتيلوجي " القائمة على الخطاب الكلامي المزدوج المعاني ،
فحول كل شيء يوجد خطابان يتناقض واحد مع الآخر . وهناك الكثير
من طرق التضليل التي أسسها السفطانيون .

ان " الدعاية الاعلامية " تقوم على أساسات فلسفية عريقة بجذورها في الفلسفة
السفطانية ، حيث نجدتها عند السفطاني غورجياس الذي أسس منظومة
فلسفية متكاملة حول " الذوكسا " أي الرأي . وعلاقته " باللوغوس الكلامي "
والذي استقرأناه من خلال الآليات القويوة (التي تستعمل القوة) التي مارسها
اللوغوس الكلامي على الرأي ليضلّله ويقوده . وقد سُميت هذه الطريقة "
البيكاغوجيا " ، أي " فن قيادة النفوس " بواسطة الإقناع الكلامي ؛ وهي من

أهم وسائل الحرب السيكولوجية المستعملة بشدة في عصرنا الحالي .
إن السفطاني غورجياس ، كان له الفضل في وضع النظريات المهمة في
علم الاستراتيجية من حيث الآليات الصراعية غير المادية ، لقد تكلم على الحرب
الموجهة الى الأعداء باستعمال التهويل أو الإغواء بواسطة " اللوغوس الكلامي " .
كما تكلم على آلية إرهاب العدو بواسطة المشهد والصورة . وعدا ذلك ، اتس
لفلسفة انتهازية الزمان والمناسبة والاستفادة من الفرص السانحة .

ومن خلال البحث في موضوع التضليل الكلامي عند السفطاني غورجياس
يظهر لنا " اللوغوس الكلامي " بازدواجيه ، دواء وسلاحاً فتاكاً في آن واحد .
يمكن استخدامه استخداماً مزدوجاً مماثلاً لما سماه غورجياس " الفارماخون
" السم الذي يُستعمل لقتل النفوس . وفي الوقت عينه ، يمكن استعماله دواء
للشفاء وتالياً ، فإن غورجياس كان أحد أهم مؤسسي منهج المداواة بالكلام في
العلوم السيكولوجية المعاصرة ، الذي يستعمل " الكلام " لا الأدوية المستحضرة
كعلاجات للأمراض النفسية .

إن فلسفة التضليل عند بعض الإنجماحات السفطانية شكّلت أحد أهم
المحفّزات التي ساهمت في الإنتاجية الفكرية عند افلاطون وأرسطو ، وهذا
يخوّلنا القول بأن هذه " الفلسفة " نهضت تنظيراً وسلوكاً لدى زعماء الحركة
السفطانية . بروتاغوراس ، غورجياس ، وإيزوقراطس ، مؤسس المدرسة
"الإسكرائية" المنسوبة إلى اسمه، وهذه الحركة كانت في صدام فكري مع التيار
السقراطي الأفلاطوني الأرسطي . ومردّه، ذلك التناقض في الآراء والأفكار
والمسلكيات ، والتضارب في المذاهب بين سقراط وتلاميذه . وبين السفطانيين
مؤسسي فلسفة التضليل السياسي ، الهادفين الى السيطرة والتسلّط على الشعب
في البوليس " Polis " اليونانية . إنهم " باعة علم الكلام " و " تجار الحقيقة " .
وباعة المعرفة " . الذين مزجوا الحق بالباطل " و " زيفوا الحقائق " و " ابرزوا

البهتان بثوب الحقيقة ". انهم التملقون ، المداهنون ، المغالطيون ، النفعيون ، المخاتلون ، المخادعون ، المتكيفون ، المتقلبون ، الذين شوّهوا الأخلاق وأحلّوا منهج اللاعقلانية محل العقلانية ، والذين تلاعبوا بعواطف الشعب وبمصيره . كل هذه الصفات أطلقها أفلاطون وأرسطو على زعماء هذه الحركة وتلامذتها ؛ هذا يعني أنّ فلسفة التضليل كانت المحفّز الأساسي لنشوء الفكر الفلسفي عند أفلاطون وأرسطو الذي مرّ بالمراحل الآتية :

- مرحلة الكشف عن " فلسفة التضليل " التي مارستها الحركة السفسطائية . وتضمّنت فضح هؤلاء وكشف قواعد التضليل لديهم .
- مرحلة دحض هذه القواعد وتفكيك آليات التضليل ومناهجه المستعملة من قبل هؤلاء .

- مرحلة المواجهة ، وقد بدأت عندما وضع أفلاطون وأرسطو القواعد المعرفية والمنهجية والأخلاقية الثابتة لمواجهة فلسفة التضليل . ورمّت قواعد الأخلاق التي وضعها أفلاطون الى مواجهة المبادئ اللاأخلاقية التي اعتنقها السفسطائيون ومارسوها . واجه أفلاطون السفسطائيين الذين أطلقوا معادلة " الحق للقوة " " الحق للمال " " والحق للذة " . معتبراً ان هذه المبادئ تضليل للشعب وتدمير للعدالة التي هي في رأيه ، ليست منفعة الأقوى . والعلوم المنطقية التي وضعها أرسطو شكلت الأسلحة المنهجية لمواجهة الجدلية السفسطائية المضلّلة (بكر اللام) ، والخطابة المنهجية بمواجهة الخطابة الفارغة . فالتضليل السفسطائي الذي كان يمارسه السفسطائيون بواسطة الجدلية المموّمة ، حضّ أرسطو على جبه هؤلاء بالجدلية المنطقية التي أسسها على القواعد المنهجية الصحيحة ، والتي بدورها ولّدت " علم المنطق " الذي أفاد العلوم الإنسانية وتلك المحضّة ، كما علوم الرياضيات .

- وهنا يمكن القول أيضاً، بأن التفضيل كان أساساً في انطلاقة العلوم المنطقية . كما يمكن القول ان الفلسفة الأفلاطونية الأرسطية كان أحد أهم أهدافها، الكشف عن التفضيل وعمّا هو وراءه، وكذلك المشاركة في الحياة السياسية طعنًا بالتفضيل ومواجهة له.

الفصل الأول

هل الحركة السفسطائية حركة فلسفية

وما هي علاقتها بالتضليل؟

الفصل الأول

هل الحركة الفسطائية حركة فلسفية وما هي علاقتها بالتضليل ؟

أولاً- التصادم الفكري بين الفسطائية والاتجاه السقراطي الأفلاطوني الأرسطي

إن المشادات والمشاجرات بين الاتجاهات الفسطائية والاتجاه السقراطي الأفلاطوني الأرسطي، تولدت نتيجة التناقض العدائي بين تيارين متضادين ومتواجهين؛ ومتضاربين في الأخلاقيات والسياسيات والمنطقيات، وفي شتى مجالات التفكير ومسلكة الحياة ومعيشيتها في البوليس (POLIS) اليونانية.

هذه التصادمية الفكرية أدت إلى انتاجية جزء كبير من الإرث الفلسفي لدى التيارات المتصارعة. وهذه الإنتاجية تطورت من مرحلة الدحض والمواجهة. إلى مرحلة التركيز الفكري الفلسفي وتعميقه وتطوره. فكانت مؤلفات أفلاطون وحواراته، في بعض أهم أهدافها الرئيسية، تسعى إلى الرد على الاتجاهات الفسطائية، ومواجهة خطاباتهم المكتوبة والمملوطة والملوكة والممارسة في البوليس اليونانية. لقد اتهمهم بأنهم ساهموا في نشر الفساد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي وفتحوا مدارس الخطابة والبلاغة ودعواها مدرسة الفلسفة الحقيقية.

١ - أهم الاتجاهات الفسطائية: بروتاغوراس (420 - 500) - غورجياس (485 - 830) - أورغيبس ومن تلامذته: تراسيك، وليكرفون، والبيداس وأيزوقراطس أو اسكراتس

وصوروا للشباب الاثرياء الطامعين إلى السلطة والثروة واللذة، ان علمهم هو الطريق الوحيد إلى المراتب والسيطرة فاندفع الشباب وراءهم إندفاعاً مستميتاً، فأفسدت هذه الثقافة الموهبة الثقافية الحقيقية والقيم الإنسانية الحقيقية¹.

وتابع أرسطو منهج معلمه أفلاطون في عملية الصراع الفكري والفلسفي مجارياً إياه المجازاة التامة وهذا ما يتبدى لدى مطالعة حوارات تلك الفترة من حياته نظير حوار «المحرّض» و«في الخطابة» و«السياسي» و«الفسطاني» و«المأدبة» و«الغنى»².

ثانياً - الجدلية الفسطائية التفضيلية وتأثيرها في انتاجية علم المنطق³
هل الاتجاهات الفسطائية أسهمت في نشوء علم المنطق وتلقيده على

1 - فيث جيروم، أفلاطون جدلية الفساد والصراع الطبقي، جدلية الخلل والمشاركة، جدلية الإصلاح والحرية والوحدة، المكتبة الشرقية بيروت، 1970، ص 108.

2 - أرسطو، في السياسة، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وقدم له وعلّق عليه، الأب أرسطوبس بربارة البولسي، ط 3، المكتبة الشرقية بيروت، 1980، ص 19.

3 - يعتبر ألكسندر ماكوفسكي في كتابه تاريخ علم المنطق، أن هذا العلم نشأ انطلاقاً من فن الخطابة وهو يقول: «قد ظهر المنطق أول ما ظهر داخل إطار فن الخطابة باعتباره نظرية البلاغة. وقد كانت بداياته كذلك سواء في افند والصين القديمتين أو في اليونان القديمة أو روما أو روسيا. وإبتداءً من الكتاب الأول الذي يحمل بالإضافة إلى ذلك اسم «طوبيقا»، درس أرسطو مؤسس علم المنطق مشكلات المنطق في صلتها بنظرية الخطابة. وفي روما أيضاً كان المنطق مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالخطابة. وفي روسيا كان أول نسق أصلي في المنطق، وهو يعود إلى لومويوسف معروضاً في رسالته عن نظرية الخطابة البليغة. وهكذا نرى أن المنطق في البداية كان يعتبر وسيلة للتأثير في النفوس، وللمبرهنة على سداد هذا السلوك أو ذاك وظل المنطق داخل فن الخطابة وجهاً تابعاً، يستهدف الوصول إلى الحقيقة بدرجة أقل من استهدافه إقناع السامع».

الطوبيقا : تعني تحديداً أحد أجزاء الخطابة (البلاغة). وهو أحد أقسام الأورغانون وموضوعه القياسات المنطقية والجدلية.

- ماكوفسكي ألكسندر، تاريخ علم المنطق، نقله إلى العربية نديم علاء الدين، إبراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، 1987، ص 9.

أسس صورية ثابتة ؟ طبعاً، ولكن هذه المساهمة لم تكن ذات طبيعة الانشاء والبناء والتفعيد والتنظيم فحسب ، إنما ذات طبيعة تحفيزية، تحريضية استفزازية، أثرت في بعض الفلاسفة أمثال ديموقريطس وأفلاطون وأرسطو وحرضتهم على المواجهة الواعية، فبعد التصارع بين هؤلاء والاتجاه السفطاني حول المضامين الحياتية في الاخلاقيات والاجتماعيات والسياسيات برز التصارع والمواجهة في مضمار المنهجيات والوسائل والطرق والأساليب.

استخدمت الاتجاهات السفطانية في خطاباتها السياسية أسلوب الجدل التضليلي، الذي لا تبتغي منه المنهجية الرصينة، أو علم المنطق المؤدبين إلى الحقيقة. بل جدل يراد به التضليل والتدليس والخداع والتمويه، وسائر ضروب الغش. جدال يتلبس اشكال المنطق. ليست الجدلية السفطانية بعلم، إنما هي مهارة وحرقة وبراعة، تهدف إلى التجادل والتنافس والتبارز، والتبرير من أجل التغلب على الخصم، ومضايقته أو الاستهزاء به.

إن الجدل لدى بعض الاتجاهات السفطانية، تم التطرق إليه ليس بهدف إنشاء منظومة منطقية متكاملة ومتناسقة، إنما في سياق إستخدامية وإنتهازية وتوظيف بعض القواعد المنطقية، في خدمة «البلاغة» و«الفصاحة» و«الإقناع» و«المجادلة» التي تهدف إلى التضليل من أجل الإنتفاع والنجاح، والتسلط في المجتمع والسياسة.

«كان بروتاغوراس أول من استخدم المحاوراة التي يدافع فيها المتخاصمان عن وجهتي نظر متضادتين، وأول من طبق الطريقة التي سيستخدمها سقراط لاحقاً. طريقة إلقاء الأسئلة على من يجادله وإبراز خطأ إجابته، وقد إستهل بروتاغوراس مستهدفاً تعليم فن البرهان، دراسة أنواع الإستدلالات الإستنباطية بالطريقة التي سيعالجها بها أرسطو في «الطويقا» أي على صعيد

الأساليب المنطقية في القول الخطابي¹.

فكانت آليات المواجهة الواعية العقلانية المنظمة، ضد الجدلية السفطانية المضلّة، هذه المواجهة است في ما بعد لعلم المنطق «ان الجدل»²، في مختلف جوانبه يحضر للمنطق³ «وقد توطدت دعائم المنطق بصفته علماً للفكر، يؤدي إلى الحقيقة عبر انواع الصراع مع السفطة بتأرجحاتها وألاعيبها اللفظية منذ ديموقريطس وأرسطو وفرض المنطق نفسه... باعتباره أحد عوامل تطور العلم والفلسفة»⁴.

لقد تدرج المنطق المواجه للتضليل السفطاني في تنظيم آليات المواجهة ومن خلال المواجهة المنظمة والمتدرجة، تأسست بعض قواعده، لقد استخدم المنطق عدة آليات ابتدأت بألية كشف الأغاليط والمغالطات، وبعدها وضع معايير للتمييز الدقيق بين المقاييس الصحيحة وغير الصحيحة. وبواسطة هذه المعايير حصر المغالطات، ثم دحضها. وبعدها نظم الجدل ومنهجيته وقواعده، وانتقل من طور مواجهة تضليلات السفطانيين إلى طور بناء ذاته، ليصبح علماً، فالانتقال حصل إنطلاقاً من «دراسة المجادلة إلى النظرية والتعقل الشكلي عموماً... إلى المنطق... هذا هو التقدم الذي يقود من التطبيق إلى الهرمينا والآنالوطيقا»⁵. وبذلك تكون الجدلية التضليلية السفطانية قد أسهمت في بناء

1 - ماكروفالسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق... المرجع المذكور، ص 58.

2 - أول من تناول «الجدل» هو زينون الإيلي والميغاريون والإيليون، انظر في هذا الصدد بلانتي روبر، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، 1980، ص 25 - 28.

3 - المرجع ذاته، ص 27

4 - المرجع ذاته، ص 9

5 - المرجع ذاته، ص 24

علم المنطق الذي ساهم في تأسيسه أرسطو. وعليه، «فإذا لم يعد من الممكن اليوم القول مثلما قال كانط إن المنطق ينتهي عند أرسطو، فعلى الأقل ينبغي الأخذ بالنصف الآخر من القول والتأكيد أن المنطق قد بدأ معه حقاً».

يُعتبر ديموقريطس² وأفلاطون من الدّ أعداء السفسطائيين، كان إنتاجه الفلسفي موجهاً ضد ممارسات السفسطائيين ومنهجياتهم ومسلكياتهم «لقد كان ... المؤسس لأول نسق منطقي في اليونان القديمة. فقد كتب رسالة خاصة في المنطق أو القانون تقع في ثلاثة كتب... كانت رسالة ديموقريطس في المنطق موجهة ضد السفسطائيين الذين انكروا وجود الحقيقة الموضوعية»³. ومن أهم جدالاته معهم، جداله مع زعيمهم بروتاغوراس. يقول «فلو كان الحق كما يقول بروتاغوراس هو كل ما يظن أي إنسان أنه صحيح، لترتب على ذلك إنكار دعوى بروتاغوراس هي أيضاً، ففي الحقيقة بما أن كل ظن مهما يكن هو ظن. قد أعلننا صوابه، فيكفي إذن أن يتقدم أي إنسان برأي يقول أن كل ظن ليس صائباً، لكي نتبين خطأ الرأي القائل أن كل الظنون صائبة»⁴ وقد تابع أفلاطون في «ثيائوس» هذا النهج في دحض مقالات بروتاغوراس. وقد برهن ديموقريطس في جداله مع بروتاغوراس على «أن الحقيقة واحدة بالنسبة إلى الجميع وأنها موضوعية»⁵.

1 - المرجع المذكور، ص 28.

2 - ديموقريطس هو أحد مؤسسي المنطق الاستقرائي هو ضد نزعة الإرثياب والشك عند السفسطائيين ومعرفتهم السطحية، التي تمحّض على إنكار الحقيقة تحت قناع البلاغة، ويرجع إلى ديموقريطس مفهوم الحكم باعتباره صلة بين الموضوع والمحمول باعتبار إفرافهما وإنفصافهما. Conjonction, Disjonction أو ما يسمى في لغة المنطق الحديث الرّوصل والفصل.

انظر في هذا المعنى، ماكوفسكي الكندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 60

3 - المرجع ذاته

4 - المرجع ذاته، ص 60

5 - المرجع ذاته

لقد اعتبر أرسطو ان المنهجيات التي يستخدمها بعض الاتجاهات
السفسطائية، منهجيات تضليلية، وقد أشار إلى هذه التضليلات في «أعماله
المنطقية»: «أن القياس السفسطائي قائم على المغالطة»² وقد سماها السفسطة
والأغاليط. وهذا البحث هو «تقد للحجج السفسطائية ويقع في مقالتين، المقالة
الأولى تعرّف الغلط وتظهر المغالطات. في القياس، سواء كان ذلك في مادته أو في
صورته. والمقالة الثانية تبحث في حل هذه الاشكالات»³. وفي كتابه التحليلات
الأولى «انالوطيقا الأولى، رأى ان الاستدلال السفسطائي يقوم على مقدمات
كاذبة زائفة»⁴ وسمى «البرهان الممروء بالسفسطة»⁵.

إن أرسطو، رغم مواجهته وتصادمه وتصارعه مع الاتجاهات
السفسطائية، في شتى ميادينها، النظرية والعملية، يشير كتاب «تاريخ علم
المنطق» إلى أنه قد تأثر جذباً ببعض طرائق البراهين وفنونها، التي كان يزاوئها

1 - يقول بلانشب في كتابه المنطق وتاريخه المترجم إلى العربية، مرجع سابق صفحة 37 : «وصلنا
أعمال أرسطو المنطقية على شكل مجموعة مرتبة في الظاهر، من رسائل جرى جمعها تحت عنوان
مشترك «أورغانون» أي «الوسيلة» وتبرير هذا الاختيار هو ان أرسطو كان يرى في المنطق علماً ذهبياً
إعدادها أكثر مما كان يرى فيه فرعاً من فروع الفلسفة، والحقيقة أن ترتيب هذه الرسائل وعناوينها
ليسا من أرسطو، تأليف كتاب الأورغانون له تاريخ لا نعرف منه إلا جزءاً يسيراً. وكذلك لم يرد
لفظ «لوجيكا» في كتاب أرسطو، وإنما كان أرسطو يستخدم لفظ التحليلات والعلم التحليلي. وربما
كان اندرونيكوس الروديسي (هو أحد شراح أرسطو) أول من استخدم هذا اللفظ بمعنى المنطق ثم
استعمله شيشرون بمعنى الجدل "Dialectique" ثم الاسكندر الأفروديسي وجالينوس». أنظر
في هذا المعنى فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق التقليدي، دار الطليعة، بيروت، ط 1979،
ص 27.

2 - المرجع ذاته، ص 28

3 - المرجع ذاته، ص 35

4 - المرجع ذاته، ص 28

5 - المرجع ذاته، ص 29

بعض السفسطائيين، في ممارساتهم الجدلية والخطابية الإقناعية، التي أسست لاحقاً لعلم المنطق. «إن أنواع الاستدلالات الاستنباطية والتي تشكل المحتوى الرئيسي لطويقا' ارسطو،... قد أقامها قبله السفسطائيون بروتاغوراس، وغورجياس، وبروديكوس، وهيباس وتراسوماك»².

ثالثاً - النزعات الفلسفية في الفكر السفسطائي وارتباطها بالتضليل

إن الحركة السفسطائية، رغم تبعثر نصوصها، وتشتت إنتاجها الفكري، وصعوبة فهمها، والتعمق في مضامينها الفكرية، والتعرف إليها، على أنها «ليست بفلسفة» ولا تشكل مذهباً فلسفياً كاملاً التجانس والانسجام³ رغم هذا كله،

1 - Topique ، أي الجدل وفيه يبين ارسطو القوانين التي بها تستقيم صناعة الجدل أنظر، فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 29

2 - ماكوفسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 58

3 - أ- حاول الباحث «ماريو انترستينر» "MARIO UNTERSTEINER" في أطروحته الفلسفية "السفسطائيون" "LES SOPHISTES" عبر إنجاز فكري ضخم، جمع لفبكل السفسطائي المبعثر، المشتت المضاف، وهنا ما دأل عليه مقدم الترجمة الفرنسية "جيلبير رمبر ديربه" "GILBERT ROMEYER DHERBEY" من جامعة السوربون حيث إعتبر أن المنظومة السفسطائية هي منظومة صعبة، نصوصها في غاية التشغف، وقد مائل افبكل السفسطائي بببكل حيوان مفروض ما قبل التاريخ جرت محاولة لترميم هبكله.

ب - وقد ورد نص التقديم عل الشكل التالي:

«إنها افبكل السفسطائي في غاية الصعوبة، فالنصوص منجزاة بشكل كبير، وبإستثناء غورجياس، نجدعاً ضئيلة ونادرة، ألا نجد نفسنا هنا، كما بالنسبة لكامل الأدب ما قبل السفراطي في حالة مماثلة «للبالولوجيا»؟

"Le corpus sophistique, est bien difficile: les textes sont extrêmement fragmentaires et même, exception faite pour Gorgias, pauvres et rares. Mais ne se trouve-t-on pas ici, comme pour toute la littérature présocratique d'ailleurs, dans un cas semblable à celui de la paléologie?"
UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, TRADUIT DE L'ITALIEN =

تعتبر الحركة السفسطائية في كثير من جوانبها الفكرية حركة فلسفية وفلاسفتها هم فلاسفة حقيقيون، إنهم واجهوا بواسطة نظرياتهم، المعتمدة لها طرقا خاصة المشكلات المعرفية والانطولوجية والاجتماعية المعاصرة لهم، حاملين لها الحلول الواقعية العملية.

عاجلت السفسطائية في خطاباتها الملقوطة والمكتوبة والملوكة، السيكولوجيا والأخلاقيات، والسياسيات، واللغويات، وتقنيات الدعاية والرأي، بحثت في فلسفة التاريخ، وفلسفة القانون، وفلسفة السياسة وفلسفة التضييل السياسي التي إختبرتها بعض من هذه الإتجاهات، تنظيراً، تفكيراً، وممارسة. مؤصلة ومؤسسة ومقعدة للتضييل السياسي، ولا سيما التضييل الكلامي بواسطة «اللوغوس».

رغم إختلاف إتجاهاتها، هنالك عوامل توافق وإنسجام، تربط فيما بينها. ومن اهم هذه العوامل «اللاعقلانية» و«اللامثالية» و«اللامنطقية» و«العدمية» و«الشكية» و«الإرتيائية»، و«البرغماتية» و«الترعة القوية» و«المنفعة» و«المصلحة» و«الانتهازية» و«النجاحية» و«الترعة النسبية في الاخلاق والمعرفة» و«ترعة انكار المعرفة الموضوعية». وكذلك يجري التركيز على إستخدامية اللوغوس الكلامي المضلل (بكر اللام).

السفسطائيون جعلوا موضوع أبحاثهم الفلسفية الرئيسي الإنسان ونشاطه وعندهم تحي، مشكلات السياسة¹ والاخلاق ونظرية الدولة والقانون،

- ET PRÉSENTÉ PAR ALONSO TORDESILIAS, PARIS, J. VRIN, TI, pl, 1993.

• أن كلمة "Paléologie" "بالولوجيا" يراد بها "Paléontologie" "باليونتولوجيا" ومعناه العلم الذي يبحث عن البقايا المتحجرة للكائنات الحية.

1 - 1 - كان السفسطائي بروتاغوراس ينادي بمبدأ الحرية المتطرفة «وعن قبول غير مبهم بالمسألة الديمقراطية العزيزة على بركليس، الذي كان صديقاً لبروتاغوراس..»

وطرق أنظمة الحكم. إن الحركة السفسطائية، نشأت وترعرعت في المؤسسات السياسية اليونانية. وهذه المؤسسات ساهمت وسمحت بإنطلاقهم، «يفترض للوصول إلى غزو السلطة من الآن وصاعداً، إمتلاك تام للغة ويعتمد على المحاجة البرهانية، فلا تعود المسألة تقتصر على التنظيم وحسب، بل على الإقناع والتفسير»¹. كان الصراع بين الحركة السفسطائية والإنجاء السقراطي الأفلاطوني الارسطي، صراعاً حول «المفاهيم السياسية»، كالقوة والعدالة والقانون وصراعاً حول «القيم السياسية»، و«الأخلاق السياسية»، و«الممارسات السياسية»، و«الوسائل السياسية»، هذه الصراعات أدت إلى نشوء العناصر المكونة «للفلسفة السياسية».

إن القوة مظهر واقعي من مظاهر الحياة، ومكوّن أساسي من مكونات السياسة والعلاقات السياسية، وقد ساهمت الحركة السفسطائية في إعطائها أبعاداً

“Une acception non équivoque du postulat démocratique cher, à ce = Périclès dont Protagoras était l'ami”

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE* Paris, T 1, 1979, P.30 *POLITIQUE*, PAYOT.

ب - كان غورجياس يعمل في الحقل الدبلوماسي، وهو سفير بلاده في أثينا، انظر بهذا المعنى
BREHIER EMILE, *HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE*, PUF, 1980, p.73

ج - ابزوفراطس اسكراتس، أسس حوالي 930 ق.م. مدرسة الخطابة التي كانت تدرّس فنون الخطابة السياسية، انظر في هذا المعنى أرسطو، في السياسة ... المرجع المذكور، ص 10 - 11

“La conquête du pouvoir exige désormais la parfaite maîtrise du langage - l et de l'argumentation; il ne s'agit plus seulement d'ordonner, il faut aussi persuader et expliquer”.

ROMEYER GILBERT, DHERBEY, *QUE SAIS-JE ? LES SOPHISTES*, P.U.F, 1985 P. 4, 5.

فلسفية، من حيث النظرية والتطبيق العملي، في المجالات القانونية والحقوقية والعسكرية والاجتماعية والنفسية والدعائية. وهذه المجالات الإنسانية الحياتية تشكل أهم المضامين الأساسية للسياسة. إن بعض الاتجاهات في الحركة السفسطائية اعتبر القوة آلية سياسية من آليات السيطرة النفسية والعقلية، بالإضافة إلى فعاليتها في السيطرة المادية، بعض الاتجاهات السفسطائية دعت إلى تطبيق العدالة القروية، معتبرة أن الحق الطبيعي هو حق الأقوى «فتراسهاك تلميذ غورجياس يعلم أن العدالة ليست سوى تلك التي تُربح الأقوى، وبالتالي التسليم بفرضية أن الحكومة ذات القوة الأكبر في المدينة (البوليس) تسن قوانينها حسب مصلحتها الخاصة فالحكومة الديمقراطية تسن قوانينها الديمقراطية، والحكومة الطغيبانية تسن قوانينها الطغيبانية»¹.

ويستخدم غورجياس «قوة اللوغس» "LOGOS" السحرية اللفظية الكلامية والنفسية للسيطرة والتسلط على عقول الجماهير ونفوسها ومعنوياتها، والتي ستطرق إليها بالتفصيل. إن هذه النماذج وطرائق التفكير النظرية والعملية والتي است «الفلسفة القوة»، مهدت لمفهوم «القوة الوحشية الفاشية» وإلى مفهوم سلطة «الكلمة القروية»، «ولقوة السيطرة على الرأي» «ولقوة الأنانية» «ولتأكيد الأنا» و«التعبير عنها بدون عوائق، وللإشباع الأقصى لغرائزها في السيطرة والمتعة» فإن السلطة ليست في الواقع إلا قوة صرفة، تخضع في ممارستها لمصلحة أولئك الذين نجحوا في الاستيلاء عليها.

"Thrasymaque, disciple de Gorgias, enseigne que la justice n'est rien - 1 que ce qui profite au plus fort et qu'ainsi tout gouvernement détenteur par hypothèse de la plus grande force dans la Cité, établit des lois selon son propre intérêt: la démocratie des lois démocratiques la tyrannie des lois thraniques et les autres régimes de même".

CHEVALIER JEAN-JACQUES. *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*.

Tl. p.32

لقد تطرق بروديكوس إلى مسألة القوانين، القانون الطبيعي والقوانين
الوضعية وقد اختلف ليكوفورن Lycophorn وأليداماس Alcidas
وهما تلميذان لغورجياس، حول بعض المفاهيم القانونية والحقوقية، "الأول
يفسر وجود المدينة «البوليس» والقوانين بواسطة عقد أو «ضمان متبادل للحقوق»
ذي إلهام وسائلي والثاني يجرؤ على وضع العبودية محل تساؤل: خلق الله كل البشر
أحراراً، ولم تصنع الطبيعة أي عبد»¹ في مؤلفه بروتاغوراس نسب أفلاطون،
إلى هيباس نظرات أصلية تتعلق بنسبة القوانين في المكان، أي حسب الشعوب
والمدن»².

إن الاتجاه البرغماتي، وتفرعاته كالنفعية والوسائلية والمصلحية والانتهازية
تأصل في كثير من جوانبه على الاتجاهات الفكرية النظرية والعملية السفسطائية.
البرغماتية التي تسعى إلى النجاحية، معتبرة أن الحقيقة تكمن في الواقع المفيد، وأن
الحقائق والقيم نسبية ومتغيرة، نجد أساساتها في الفلسفة السفسطائية. الهدف
الاسمي للحركة السفسطائية «النجاح في الحياة الاجتماعية»³ وفي السياسة،

"Le premier explique par un contrat, par une "garantie mutuelle des droits" - 1
d'inspiration tout utilitaire, l'existence de la Cité et des lois. Le second ose
mettre en question l'esclavage: "Dieu créa tous les hommes libres, la nature
n'a fait aucun esclave".

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*.
T1, p.33

"Platon attribue à Hippias, dans le Protagoras, des vues originales sur la - 2
relativité des lois dans l'espace selon les peuples et les Cités"

المرجع ذاته، ص 31.

"De réussir dans la vie sociale" - 3

المرجع ذاته، ص 30

«فبقدر ما يعتبره سقراط، على أن السياسة فن وبعد، فهي بالنسبة للسفسطائيين تُعتبر فناً له ذات طبيعة البلاغة، ويتأسس أيضاً عليها، فناً يبتغي تحصيل المال والسلطة والنجاح، في حين أن سقراط يرى فيها أحد أهم فروع السلوك الإنساني الذي يتبع الخير الحقيقي، المرتبط بموقف ما للنفس، وليس بالخبرات الخارجية»¹.

«السفسطائيون كانوا الباقين إلى تأسيس نظرية الخطابة والبلاغة، والفيلولوجيا وقواعد النحو، وكان بروتاغوراس وغورجياس وتراسيماك من أوائل الذين اهتموا بمسائل الدراسات اللغوية العملية، وقد خلق هؤلاء نظرية البلاغة»². ساهمت الاتهامات السفسطائية في بنائية فلسفة اللغة إنطلاقاً من إستخدامها الفصاحة والبلاغة والخطابة، التي وظفتها في عمليات الإقناع والجدال والنقاش والتلاعبات اللفظية القولية وفي عمليات التضليل السياسي. «فقد كرس بروتاغوراس لذلك مؤلفه «فن الإقناع». وقد أصبح شهيراً بفضل مهارته في تطبيق ذلك الفن. وكان محبوب بلاد اليونان ينظم المناقشات التي كانت تجتذب جمهوراً غفيراً»³. «أما غورجياس أستاذ البلاغة ذو الشهرة غير العادية... فكان لديه شك عام حول إمكانية المعرفة العلمية التي تصل إلى أعماق الأشياء،

«... d'autant plus que la politique, pour Socrate, est à la fois un art et - l'avantage. Alors que, pour les Sophistes, elle était un art de même nature que la rhétorique et fondée d'ailleurs sur la rhétorique, un art qui procurait l'argent, le pouvoir, la réussite, Socrate voit en elle l'une des branches, ... de la conduite humaine, qui poursuit le vrai bien, lié à une certaine attitude de l'âme, et non les biens extérieurs».

المرجع ذاته، ص 35.

2 - انظر ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 58.

3 - المرجع ذاته، ص 55.

إن ادعاء البرهنة علميا في نظره باطل، فقد كان يجب الاكتفاء بالإقناع ومن هنا تبدو أهمية علم البلاغة بإعتباره أئمن الفنون ومصدر سلطة فريدة على الغير أي على القضاء وعلى الجمعيات السياسية¹.

الفسطانيون شغلوا في عصرهم، فلاسفة التاريخ، بعدما فتروه وأولوه بإتقان وجودة، وكانوا من أتباع الواقعية السياسية توافقوا فيما بينهم على مقاربة منسجمة مناهضة للمثالية، ركّزوا أبحاثهم على الإنسان ونشاطه. «الفسطانية حولت الفكر من الإهتمام بالطبيعة، إلى الإهتمام بالإنسان... وجعلته موضوعا أساسيا للتفلسف، والتفكير قبل الموضوعات الأخرى»² وقد أسهمت بعض الاتجاهات الفسطانية بروتاغوراس وغورجياس، وايزوقراطس، في تكوين بعض قواعد «فلسفة الدعاية السياسية» وآليات السيطرة على الرأي، ومن أهم الفلسفات التي ساهم هؤلاء في بنائها وانشائها وتطورها، نذكر «فلسفة، التفضيل السياسي» وهذا ما نريد أن نظهره كمصدر أساسي، من الأسس الفلسفية المهمة للتفضيل السياسي، الذي لا يزال مؤثرا وفاعلا حتى تاريخنا المعاصر.

لقد أثرت الفلسفة الفسطانية على كثير من الفلاسفة وعلى التيارات الفلسفية ونذكر على سبيل المثال هيغل «فإننا نرى هيغل يعجب بغورجياس، لأنه درس الجدل كما هو موجود في الفكر الخالص، أي أنه درس المقولات الخالصة، ثم يتن بها إذا درست في نقائنها الخالص تؤدي إلى السلب، فالوجود يصل بنا إلى العدم، والواحد ينتقل إلى الكثير، ويتنل الكثير إلى الواحد»³ وأما في مجال الأخلاقيات فإن نيتشه يعتبر «أن الأخلاق في صيغتها السقراطية فهي إنحطاط

1- تاريخ علم المنطق... المرجع المذكور، ص 30

2 - مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الثاني، ص 722.

3 - إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيغل دراسة لمنطق هيغل، دار التوزيع للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص 52.

وأكاذيب، متأية عن تدهور الحياة الإثنية في ذلك العصر، لأنها ترفض حرية
الفرائز الطبيعية للإنسان، بل ترفض الحياة، وهي تدل في الأخير على إنتصار
المريض والضعيف¹ «فيصبح تمرد سقراط على الفسطائية مداهنة وكذباً إذ
أنه المسؤول عن الوجهة الأخلاقية التي أخذتها الفلسفة في طريقها الطويل»².
إلا أن الواقع المثبت بالشواهد الفكرية والعملية دّل على أن بعض الاتجاهات
الفسطائية نظرت للتضليل ومارسته عملياً.

1 - بعض الاتجاهات الفسطائية*

هي معلمة التضليل الباسي

إن القول بأن الحركة الفسطائية وبخاصة الاتجاه البروتاغوراسي،
الفورجياسي، الايزوقراطي، هي معلمة التضليل الباسي، وتشكل احد اهم
مصادره الفكرية النظرية والعملية إنما هو قول ينطلق من الشواهد والأدلة،
والقرائن المستقراة من الوقائع الفكرية، التي تعكس نسبة عالية حقيقة هذه

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور ، ص 730

2 - المرجع ذاته، ص 729.

● أ- ماذا نعني ببعض الاتجاهات الفسطائية؟

منعاً للإنباس، والوقوع في خطأ التعميم، ومراعاة للمنهجية البحثية العلمية لا يمكن القول والتأكيد
المطلق، على أن كل الاتجاهات الفسطائية كوّنت مصدراً لفلسفة التضليل الباسي، لأن ليس كل
الفسطائين عالجوا هذه القضية، لذلك نقول ببعض الاتجاهات الفسطائية، ونعني «بروتاغوراس
أمير الفسطائين، خبير التلاعب بالديالكتيك الذي يمح في جعل المألة البنة تنصر على تلك
الحنة»

PROTAGORAS, prince des sophistes, expert à manipuler la dialectique.
qui permet de faire triompher la mauvaise cause de la bonne”.

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE
POLITIQUE*, T1, P.30... /..

القضية. ومن أهم هذه الشواهد الاثباتية :

أ - التماهي بين معنى «التضليل وطرقه» ومعنى «الفسطائية

ومشتقاتها اللغوية»

أجمعت غالبية الاتجاهات الفكرية والفلسفية وتقاطعت فيما بينها متطابقة متوافقة مع معظم الحركة المعجمية القاموسية، في شتى مجالاتها، على أن الحركة الفسطائية هي حركة ملتصقة ومتماهية، مع «التضليل السياسي». سوف نستقرئ بعض هذه العيّنات.

ب - الفسطائي هو المضلل (بكر اللام)، و«الفسطائيون هم

المضللون» (بكر اللام)، والفسطة هي معلمة التضليل

- قديما كان معنى الفسطائي يدل على «الإنسان الخاذق أو العالم في

.../... وغورجياس الذي لا يؤمن بالعقلانية ولا بالمنهجيات المنطقية، والذي أنس فلسفته على «اللوغوس» الكلامي الذي يسلك شتى طرق التضليل الخداعية والإغوائية والإقناعية الخبيثة، بالإضافة إلى تلميذه إيزوفراطس أو إسكارنوس مؤسس المدرسة الإسكارتية سنة 930 ق.م.، التي كانت تعلم طلابها أصول الخطابة والدعاية وفنون الدعاية فوجيا والتكيف والتلون السياسي. هؤلاء صبغوا الحركة الفسطائية بأكملها بصفات ومسوح التضليل، لأنهم انتجوا إرثاً فكرياً وكتبوا، وبحثوا، وعلموا، وفتحوا مدارس، ولأنهم طبقوا رؤيتهم بممارسين إياها في الحياة العملية. إن أعلام هذه الحركة أنفسهم، لا يمتحنون بالمجاهرة بتأسيس قواعد التضليل السياسي وتعليم كليات إستعمالاتها، وتطبيقها في السياسة، لأنهم لا يؤمنون بالمعايير الأخلاقية، وبالتالي ليس هناك فصل وتمييز لديهم بين الأخلاقي والأخلاقي، وفلسفة التضليل عندهم كما سيبن تنطلق من أصول فلسفة تحكم في نظرهم إلى أمور الحياة والإنسان والكون والمجتمع والسياسة.

ب - إيزوفراطس هو أحد تلامذة سقراط وغريغس (أي غورجياس) الفسطائي. أنظر في هذا المعنى، أرسطو، في السياسة ... المرجع المذكور، ص 10.

1 - إن الاتجاهات المناهضة للحركة الفسطائية، تعتبرها حركة مؤسسة للتضليل بأنواعه كافة، النظرية ومنها العملية، وأن إمتدادات الفلسفة الفسطائية التي ما زالت قائمة كالبهرغمية والمصلحية والمنفعة والوسائلية والمكيفلية تؤمن أيضاً بالتضليل وتعتبره حقيقة واقعة إذا أتى إلى النجاح والانضاع في السياسة.

موضوع ما وهو مرادف لكلمة «SOPHOS» «سوفوس»، التي تدل بذاتها في بادئ الأمر على كل مهارة أو حيلة، وتحول هذا المفهوم فأصبح السفسطائي يعني مغالطاً¹. فلقب «سوفستس» كان يعني «الإنسان الحكيم الماهر في كل علم، المحامي الملم بجميع المعارف، المتمكن في حجج الاقتناع، وقوة البرهان. تحول معناه الأصلي ليصبح نعتاً لكل مغالط مكابر على الحق، كما تحولت كلمة بهلول من اللغة العربية من معناها الأصلي «السيد الجامع الأكبر لكل خير»². من هنا نجد ان كلمة «SOPHISTOS»، و«سوفيستس» اليونانية تعني «سفسطائي، مغالط»³ أي أنه «يستعمل المغالطات»⁴ «الحاذقة أو المدوخة»⁵ و«المزيفة المزورة الماكرة المخادعة الغاشة وهو» الذي له لقب من حكمة تظن موجودة وليست كذلك، هو المرائي الذي يترأى بالحكمة هو المدعي الذي يدعي أنه يبرهن ولا يكون كذلك» هو المثبّه (بكر الباء) الملبّس (بكر الباء) هو الباطل الذي أخرج في صورته الحق انه طالب الغلبة ... مشاغب،

1 - لالاند أندره، موسوعة لالاند الفلسفة، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط 1، 1961، ص 1316

2 - قربان ملحم، المنهجية والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص 110.

3 - الفقي محمد عبد الرحمن، فيليب غلينيس، قاموس يوناني - عربي، مكتبة السائح، سوريا، د.ت.، ص 362

4 - لالاند أندره، موسوعة لالاند الفلسفة ... المرجع المذكور، ص 1316

5 - A- "subtils ou capiteux".

ROBERT PAUL, *DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANÇAISE*, PARIS, 1986, p.1836"

B- "Subtle and specious reasoning."

MERRIAN A. - *Webster, webster's Ninth new Collegiate Dictionary*. MERRIAN - WEBSTER, INC. publishers, Springfield, Massachusetts, U.S.A. 1986, p.1125.

يتظاهر بالمعرفة وليست له¹.

- الفسطانيون هم الذين يمارسون «فن الجدل والكلام في سبيل المرجعية السياسية»² إنهم «فئة من الأساتذة الأحرار المتجولين، يمتهنون لقاء اجر قوي ومرتفع تعليم فن الكلام وفي الوقت عينه فن النجاح في الحياة الاجتماعية لزبائن من الشبيبة الغنية»³، هم «الذين علموا الناس البيان وأساليب الجدل ولكنهم اساءوا استعمال الجدل واصبحوا مغالطين ومعلمي مغالطة فتحول اللفظ تبعاً لذلك»⁴ إلى «اللفظية الفارغة»⁵ «إنهم يمارسون الجدل للجدل، مدافعين باستهزاء عن كل الأطروحات بهدف المصلحة أو التسلية»⁶.

إعتبر الفيلسوف ديمقريطس الفسطانيين، انهم اصحاب نزعة الإرتياب والشك، وأصحاب المعرفة السطحية، التي «تخفي إنكار الحقيقة

1 - أنظر في هذا المعنى، جبر فريد، المعجم رفيق، دغيم سبيع، جيهامي جبرار، مصطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص 420

2 - موسوعة لالاند الفلسفية... المرجع المذكور، ص 1317

3 - "Les Sophistes, sorte de professeurs libres et itinérants, faisaient métier, fort bien payé, d'enseigner l'art de parler, en même temps que celui de réussir dans la vie sociale, à une clientèle de jeunes gens riches..."

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*, T1, p.30

4 - زكي بدوي أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1993، ص 404.

5 - ماكوفسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق... المرجع المذكور، ص 92

6 - "Les Sophistes pratiquent la dialectique pour la dialectique et soutiennent indifféremment, par jeu ou par intérêt, toutes les thèses".

TRICOT J., *TRAITÉ DE LA LOGIQUE FORMELLE*, PARIS, VRIN, 1973, p.23

تحت قناع البلاغة¹. أما أفلاطون فقد ربط بين السياسة الفاسدة والحركة السفطائية، مسمى زعمائها «ملقني السياسة الفاسدة»² «إنهم المتلاعبون بأفكار الشعب وعواطفه»³ فبروتاغوراس يجعل «الصلاح طلاحاً والشر خيراً... ويقلب الصدق كذباً»⁴ انهم أصحاب «حرقة التملق والكذب»⁵ لقد علّموا «الكذب والرياء والخداع والطمع وحب المال والسيطرة بدلا من الصدق والصراحة والأخلاق والخير»⁶ «لقد حولوا فن السياسة إلى فن تمليق الشعب بغية السيطرة عليه إلى فن الركض وراء الشعب لكي ينالوا عطفه»⁷. إلى مشاغلة الشعب «والهاته بالمظاهر المخادعة»⁸ وعلموه «المدالسة»⁹ و«التقليد»¹⁰ و«الغش»¹¹ و«الشر»¹²، فأصبحت السياسة تتهج «جدلية المكر والخداع وتزييف الحرية الحقيقية»¹³ و«المظاهر المخادعة»¹⁴ يشبه أفلاطون التضليل التمثهري، «بالثوب المزركش بكل انواع النقوش، فيلوح جميلا ويعجب به كثيرون إعجاب

1 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق المرجع المذكور، ص 60

2 - فيث جيروم، أفلاطون... المرجع المذكور، ص 21

3 - المرجع ذاته، ص 22

4 - المرجع ذاته

5 - المرجع ذاته

6 - المرجع ذاته، ص 23

7 - المرجع ذاته

8 - المرجع ذاته

9 - المرجع ذاته

10 - المرجع ذاته، ص 24

11 - المرجع ذاته، ص 27

12 - المرجع ذاته

13 - المرجع ذاته، ص 32

14 - المرجع ذاته، ص 23

النساء والأولاد الصغار بالثياب الزاهية¹ ووصف النظام السياسي الذي كان يسيطر عليه السفطانيون بأنه يتستر ببيادة «الحرية الكاذبة»² حيث «يتشر الخداع والتعلق بثياب الديمقراطية»³. إنهم يستعملون اللفظية المطلقة الفارغة⁴. وبالعودة إلى تاريخ الفلسفة، نجد أن «الخطابة السياسية» كانت محورا للمشادات والخصومات في المدرسة السقراطية الأرسطية بمواجهة المدارس السفطانية، وأهمها المدرسة الإسكراطية التي تعتمد في خطاباتها السياسية على منهجيات التضليل والخداع. وقد قام بين المدرستين الأفلاطونية والإسكراطية مشادات ومخاصمات لا تزال مع مرور الزمن، تزداد توترا وعنفًا مرده، تناقض الآراء، وتضارب المذاهب، بين سقراط وتلاميذه من جهة والسفطانيين من جهة ثانية.

وقد «ثار أرسطو على السفطانيين متدخلًا إلى جانب معلمه في تلك المناوأة أو بالحري بالنيابة عنه، ونظم حوارًا الذي دعاه أغرلس»⁵. وهاجم المدرسة الإسكراطية ووصف أديها «بالزائف» «المنمق» «الملفق» «الفارغ» «السخيف» «المتذل» «المغالي» «السطحي»⁶، قائم على مزج الحق بالباطل، وعلى تزيف الحقائق. إنها تعلم وتلقن منهجيات التضليل للسياسيين. إنها «ليست سوى حرفة مبتذلة أو مهنة خسيسة غايتها اقتناص الثبان الموسرين بالتعلق والمداينة والانتفاع من ثرائهم بحجة تعليمهم براعة الإلقاء وعلم الجدل والمغالطة. إنهم

1 - غيث جبروم، أفلاطون... المرجع المذكور، ص 35

2 - المرجع ذاته

3 - المرجع ذاته، ص 35

4 - أنظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 92

5 - أرسطو، في السياسة... المرجع المذكور، ص 12

6 - المرجع ذاته

باعة الكلام وتجار الحقيقة يبرزون البهتان بثوب الحقيقة إنهم يمارسون ضروب
المخاتلة والمخادعة إنهم يهدفون إلى تكييف أذهان الجماهير بحجة جعل أولئك
الشبان الأغرار ساسة محكين¹ إنهم «أصحاب الخطب الطنانة الجوفاء»².
وقد وقفت الفلسفة العربية القديمة الموقف ذاته من السفطانيين،
فالكندي كتب رسالة يفتد فيها «السفطائية» وهي تحت عنوان «في الإحتراس من
خدع السفطائية» وهي مفقودة، وكذلك وضع الفارابي كتابين ينقد فيهما الفكر
السفطائي، وهما كتاب «شرح المغالطة»، و«كتاب المغالطين»، ووضع ابن سينا
رسالة عنوانها «السفطة» حدد فيها السفطائية، بأنها نوع من الأغاليط والخداع
والاستدلال الباطل³. أما ابن رشد فقد كتب ما سماه «تلخيص السفطة» مشيراً
إلى مغالطاتهم وأضاليلهم⁴، شارحاً أقاويل أرسطو فيها.

وتشير السفطة ومشتقاتها اللغوية إلى معاني التضليل. فنجد «إن سوفاً
بلغت اليونانيين اسم «للعلم» واسطاً اسم «للفلظ» فسوفطاً معناه «علم الفلظ»⁵
ومنها السوفيسما (Σοφισμα) "SOPHISMA" أو «القياس الفاسد»⁶،
وهي اسم للحكمة الموهمة والعلم المزخرف⁷ أي «مغالطة»، وهي حجة صالحة

1 - أنظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 11 - 12

2 - المرجع ذاته، ص 24

3 - أنظر في هذا المعنى، الموسوعة الفلسفة العربية ... المرجع المذكور، ص 722

4 - أنظر في هذا المعنى، فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 241-243

5 - موسوعة كشاف إصطلاحات العلوم والفنون، تقديم وإشراف ومراجعة المعجم رفیق، مكتبة
لبنان، ناشرون الجزء الأول 1998، ص 958

6 - الفقي محمد عبد الرحمن، فيليب غليترس، قاموس يوناني - عربي ... المرجع المذكور، مرجع
سابق، ص 362

7 - المعجم رفیق، موسوعة أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1991، ص

في الظاهر، لكنها غير صحيحة في الحقيقة، يجري التذرع بها لتوهيم الآخرين، فهي مخاتلة يأخذ بها المرء، بدافع من حب الذات والمصلحة والهوى... وتهدف إلى إرباك مناقض ما، ونصب فخ له ويؤدي إلى توليد ارتباك منطقي¹. إنها «فن الخداع بمقاييس تضليلية»² هي «القياس المركب من الوهميات»³ و«الحكمة المظنونة والفلسفة المظنونة... والمموهة»⁴ وهي «تنحو نحو الجدل، فيما تفعله، فما يفعله الجدل على الحقيقة، تفعله السوفسطائية بتمويه ومغالطة»⁵. وهدفها «التشكيك والمغالطة، وإحداث التوهم»⁶. وقد إشتقت عن السفسطة معان تدل على التضليل وطرقه، فمدلول الكلمة الفرنسية «سوفينيكاسيون» Sophistication يعني الغش والإدغال والخذلة والتصنع... و«سوفينيكه Sophistiquer هو فعل يعني، زيف، غلط، ضلل»⁷.

2 - المكونات البنائية لفلسفة التضليل عند السفسطائيين

أ- المعرفة المبنية على النظرية العلمية وإنكارية المعرفة الموضوعية

يعتبر السفسطائي غورجياس «إنه من المستحيل إثبات الحقيقة»⁸ وبالتالي

-
- 1 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية... المرجع المذكور، ص 1315
 - 2 - بلانتي روبر، المنطق وتاريخه... المرجع المذكور، ص 45
 - 3 - موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون... المرجع المذكور ص 957
 - 4 - جبر فريد، المعجم رفيع، دغيم سبيع، جيهامي جبرار، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب... المرجع المذكور، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص 420
 - 5 - المرجع ذاته
 - 6 - المرجع ذاته، ص 421
 - 7 - عبد النور جبرور، إدريس سهيل، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، دار العلم للملايين، ط 8، 1985، ص 965.
 - 8 - "Il est impossible de prouver le vrai"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*. T1. P197

إنكارية الحقيقة الموضوعية، والمعرفة الموضوعية، إنطلاقاً من النظرية المعرفية المبنية على العدمية. «إنه لا يوجد شيء»¹ فلا الوجود ولا اللاوجود موجودان؛ «وإذا كان يوجد شيء فهو غير معروف، وإذا كان معروفاً فمن المستحيل نقله إلى الآخرين»². «الفلسطانيون ينكرون معرفة العالم الموضوعي، ويتبنون موقف النزعة النسبية. وهم في إتخاذهم من النزعة النسبية أساساً لنظرية المعرفة والاخلاق، قد إنتهوا إلى إنكار المعرفة الموضوعية. الفسطاني لا يبحث عن حقيقة الوجود لأنه هو الشاهد الوحيد لصيرورة الأشياء وهو الوحيد الذي يستطيع أن يحكم عليها بالوجود أو اللاوجود»³.

إن هذه النظرية العدمية في المعرفة وفي الوجود وفي الأنطولوجيا، جعلت غورجياس يؤسس معرفته على «اللوغوس» «LOGOS» الذي أفرز طرقاً في التفضيل، كالأقناعية والجذبية الخداعية، والخطابة والبلاغة وإلى إحلل التفكيرات القولية، مكان التفكيرات العلمية وإلى انتهاج الظنية والتشكيكية. وكل هذه الطرق سوف نعالجها. «الفسطاني لا يبحث عن حقيقة الوجود والأفكار، ولا عن وحدة القيم، فلا يهتم القول الفلسفي المحض، بقدر ما يهتم إقناع الناس بما يريد أو بما يعتقد، وبذلك يستطيع أن يجعل من القول الضعيف الواهي قولاً قوياً وجباراً»⁴. إن المعرفة

1 - المرجع ذاته، ص 214 "Rien n'existe"

2 - المرجع ذاته، ص 215 "Ni le non-étant ni l'étant n'existent".

3 - "Si quelque chose existe, c'est inconnaissable, ou que si c'est connaissable, c'est impossible à transmettre aux autres".

BREHIER EMILE. *HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE*. PUF, 1981, p.175

4 - الموسوعة الفلسفية العربية... المرجع المذكور، ص 728

5 - المرجع ذاته، ص 372

العدمية، قادت السفطائين إلى الانطلاق في السياسات والأخلاقيات والإجتماعيات، من منطلق النية، وهذه النية أدت في كثير من الأحيان إلى انتهاجهم لطرق التضليل.

ب- النية كمؤيدة للتأويل التضليلي.

لخص هذه النية بروتاغوراس بقوله «الإنسان مقياس جميع الأشياء وكل إنسان يحكم بما يعرفه وحكمه حق ولما كانت أحكام الناس تختلف بالشيء الواحد، فما يراه هذا صواباً يراه الآخر خطأ، وكل واحد مخطئ ومصيب في آن واحد. لأن الحقيقة تابعة للشعور الذي يحسه، وما صدق الشيء وكذبه إلا حسبما يستحضره الإنسان صدقاً أو كذباً»¹.

إن هذا المقتبس يشير، إلى أن منطلق الحكم على الأشياء هو منطلق الذات، فالأحكام تصبح أحكاماً ذاتية، وإنسانية هذه الأحكام تركز على المعارف الذاتية، والمعارف الذاتية لدى الأشخاص حول شيء معين، هي معارف مختلفة، والاختلافية في الأحكام تتج منها الاختلافات حول معيارية الخطأ والصواب. والأحكام هذه تتأثر بالذات الإنسانية والذات الإنسانية بالنسبة للسفطائين «تستند إلى الحواس والحواس متغيرة بتغير الظروف والأشخاص»².

وهذه التغيرية، المتأثرة بالإدراك الحسي، تتغير مع الموضوع تبعاً لتغيراته. أن بروتاغوراس يعتبر أن «الذات المدركة تتغير في كل لحظة مثلما يتغير الموضوع الذي تدركه يصبح أي إدراك حسي لأي إنسان نسبياً وذاتياً... فعندما يبدأ نسيم رقيق في التنفس فقد يعطي إنطباعاً بالبرد عند فرد، وإنطباعاً بالحر عند آخر، فهذا النسيم أهو بارد أم حار؟ إنه عند الأول بارد، وعند الثاني حار. ولا يمكن

1 - فربان ملحم، المنهجية... المرجع المذكور، ص 110

2 - الموسوعة الفلسفية العربية... المرجع المذكور، ص 726

ان توجد وفقا لبروتاغوراس اجابة موضوعية عامة¹ إن الانطباعة المدركة بالادراك الحسي، بالنسبة لبروتاغوراس هي مصدر الاحكام. وهي مصدر التأويلات المضللة (بكر اللام) التي لا تعكس الحقيقة الموضوعية الواقعية، إنما تعكس حكم الاحاسيس، والإنفعالات المكونة للإدراكات الحسية الذاتية، والمناقضة للأحكام الموضوعية التي تصف الواقع لا كما هو موضوع، بل كما هو محسوس. إن هذه النسبة تؤدي إلى الالتباسية.

ج - الشك الفسطائية تضليلية لا يقينية

إن الالتباسية الفسطائية القائمة على استخدام التعارضات والتناقضات الكلامية والازدواجيات اللفظية، والتفكيرية، والانتولوجيا (ANTILOGIE) وعلى تقنيات التضليل "الأرستقي" (ÉRISTIQUE) المتلبس له لبوسا منطقية زائفة، وعلى تعقيد المعرفة على "اللاعقلانية"، وعلى "مبدأ الذاتية" و"النسبية" أدت بالفسطائيين إلى الوقوع بالترعة الشكية الإرتيابية².

1 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ المنطق ... المرجع المذكور، ص 56

2 - الشكبة الإرتيابية: Scepticisme

الشك هو من يكتفي بأن يرى ويرفض أن يحكم، وبالتالي أن يثبت إثبات الأشياء، التي تطابق مع تصوراتها أو أن ينفيها، «الشكبة» هي حالة من الشك، هو مذهب يرفض أن يثبت أو ينفي، وبالتالي أن يصدر حكماً، وبخاصة في ما يتعلق بإعادة الماورائيات، بالمعنى المعروف إن الشاك هو الذي يرفض أن ينضم إلى معتقدات معينة أي عدم قبولها.

- المترجم فرنسوا الهوب قد رادف لفظة «scepticisme» باللاأدرية. وهذه ترجمة غير دقيقة في نظرنا لأن اللاأدرية برادفها «Agnosticism» وهو "مصطلح يطلق على مجمل المذاهب الفلسفية الشديدة الاختلاف في ما بينها، والتي تسلّم بوجود مرتبة من مراتب الحقيقة التي لا يمكن معرفتها.

انظر بهذا الصدد - أيوب فرنسوا، ترجمة القاموس الفلسفي لديدية جوليا، مع تحرير وتعليل وتحليل نقدي، اطروحة دكتوراه دولة، بإشراف د. جبر فريد، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981، ص 400.

وانظر كذلك - ب - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 39 - 40

ليست الشكبة السفطانية منهجا للوصول إلى اليقين إذن، ولا تهدف إطلاقا إلى التوصل إلى المعرفة الموضوعية والحقيقية، طالما ان غورجياس انكر المعرفة الموضوعية وقعد معرفته على مبدأ العدمية.

هذه الشكبة تختلف عن الشكبة الديكارتية التي تهدف إلى تأسيس منهج منطقي فلسفي ثابت يسعى إلى اليقينية والموثوقية. الشك عند ديكارت عملية فكرية أساسية للمنهج الديكارتى. يقول ديكارت «فكرت ان من الواجب علي ان اطرح جانبا كل ما قد اتخيله موضوع شبه وإرتياب، وان اشطبه بوصفه فاسدا بإطلاق، وذلك لأرى ماذا سيقى لي بعد ذلك من ثابت وصحيح ويكون قابلا للثقة الكاملة»¹ هذا يعني ان الشكبة الديكارتية هي شكبة تهدف إلى نزع التضليلات من الفكر. الشك بوجود الشبه والإرتياب ونزعهما وشطبهما لأنها فاسدان. وثم الإبقاء على ما هو صحيح، لأن كل ما هو صحيح يتصف بالثبوتية أي بعدم التغيرية التي تعني اليقينية والموثوقية والموضوعية.

أما الشكبة السفطانية المتغيرة، فتهدف إلى إجرائية التخبط والحيرة في العقول وإلى إجرائية التوهم في النفوس من أجل خداعها وإلى إجراء الأرباك في المسلكيات بغية التضليل، والسيطرة الكلامية المتلونة والتكيفية مع الظروف والمناسبات متهزة الازمنة والأمكنة.

1 - المرجع ذاته، ص 301

الفصل الثاني

أهم طرق التضميل الكلامي عند السفطائيين

الفصل الثاني

أهم طرق التضليل الكلامي عند السفسطائيين

أولاً- الإلتباسية منهجاً تضليلياً

إن النسبية التي انطلق منها بعض السفسطائيين، أدت إلى التأويلية الذاتية التي مهدت لنشوء «التأويل التضليلي»، كما أدت إلى نشوء «الالتباسية التضليلية» التي كان يهدف إليها بعض السفسطائيين، من أجل إجراء التخبط الفكري والنفي في عقول ونفوس الناس بهدف تضليلهم، ومن أهم الآليات التي تؤدي إلى الإلتباسية التضليلية.

1 - الأونتيلوجيا (ANTILOGIE) (Αντιλογία)

• في المقاربات التعريفية للأونتيلوجيا (ANTILOGIE)

في اللغة اليونانية تعني المناقضة، والمنازعة، والدحض¹ و«الأونتيلوجيكس» (ANTILOGIQUE) تعني الطريقة السفسطائية²، أي المعارضة للمنطق والخارجة عن القوانين المنطقية³. وتعني أيضاً «السفطة أي فن المحاججة»⁴.

* Contradiction , contestation, réfutation - 1

GIASSANG A.. *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS*.
Paris. Garnier Frère, Librairie – éditeur, 1989, P.95

* Une manière sophistiquée. المرجع ذاته. 2

3 - صليبا جيل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، الجزء الثاني، ص 390

4 - La sophistique, l'art de discuter . - 4

NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC- FRANÇAIS. P.95

حيث يوجد معارضة في اللغة «فهي المقابلة على سبيل الممانعة»¹ فهي حاملة «لتناقض الافكار»² وقد قاربها قاموس لالاند الفلسفي على انها «تعارض الاقوال والمحاجات»³.

• الخطاب المتبسر أو المزدوج كنموذج «للاتيلوجيا المضللة»
(بكر اللام)

الخطاب المتبسر هو خطاب سفسطائي مكتوب، أطلق عليه «الخطاب المزدوج» أو «المقالات المتبسة»، يعرض نظرية النسبية المطلقة، للمفاهيم الإنسانية، في الخير والشر والجمال والقبح والعدل والجور والحق والباطل ويبرهن على وجهتي نظر متضادتين كالحقيقة والبطلان هما متطابقان ومختلفان في آن واحد، وهو يقول ان القضية يستطيعون ان يعتبروا المقالة الواحدة حقاً وباطلاً. فالشيء يكون في ذات الوقت حقيقياً وثقيلاً فذلك يعتمد على ما يقارن به»⁴ وهذا الخطاب موضوع تناوله بروتاغوراس حيث قال «انه لكل شيء يوجد خطابان يناقض واحداهما الآخر»⁵.

«إن التعليم الخطابي لغورجياس، وأعمال القواعد اللغوية العامة

-
- 1 - صليبا جيل، المعجم الفلسفي ... المرجع المذكور، الجزء الثاني، ص 390
 - 2 - عبد النور جبور وأندريس سهيل - المنهل قاموس فرنسي - عربي، دار العلم للملايين، بيروت 1985، ص 54
 - 3 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 77
 - 4 - ماكوفلنكي ألكسندر، تاريخ علم للنطق ... المرجع المذكور، ص 57
 - 5 - « Protagoras... dit que sur toute chose il y a deux discours qui se contredisent l'un l'autre »
DIERBEY GILBERT ROMÉYER - *Que sais-je, LES SOPHISTES.*
p. 11

لبروتاغوراس، وأبحاث بروديكوس التي تناول المرادفات، دهاء، يجد منابعه الحجاجية في نتاجات أدبية صغيرة، مثل «الخطابات المزدوجة»، التي تلخص منهج الطرح المزدوج المعاكس، للذي يمكن الإرتكاز عليه في المسائل الأخلاقية، حرفة نجدها في آخر تجلياتها في فن المشادات الكلامية (الإرستيك) الذي سخر منه بحزم أفلاطون في أوتيدام.¹

إن الإزدواجية المتناقضة والمتازعة والمتعارضة فيما بينها. أو التي تتهج اللامنطق، في سلوكية الخطاب السياسي والأخلاقي والاجتماعي وفي شفاهته وكلاميته، وفي كتابته ومفهوميته، هي إزدواجية تؤدي إلى انتاجية طرق التضليل السياسي والأخلاقي، فتخلق في النفوس والعقول الخلط والالتباس واللامبئية، يستخدمها المضللون (بكر اللام) السياسيون في عملياتهم كطريق للتلون السياسي والديماغوجيا السياسية، والتأويل التضليلي للوقائع السياسية، وإلى ممارسة التغيير والتبديل في المواقف تبعاً للمصلحة والمنفعة ويستخدمها التضليل أيضاً في طرق التلاعبات الكلامية.

(L'enseignement rhétorique de Gorgias, les travaux de grammaire - l générale de Protagoras, les recherches de Prodicus sur les synonymes. Virtuosité qui trouve ses ressources d'argumentation dans des petites oeuvres comme les "Doubles discours", qui résument schématiquement la double thèse, contraire que l'on peut avoir à soutenir sur des questions morales, virtuosité qui a enfin sa dernière manifestation dans l'art de dispute ou éristique, dont Platon s'est si cruellement moqué dans l'Euthydème).

BREHIER EMILE, *HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE*, p.75

• الجدل حول دفع الاتعاب كنموذج للجدلية المغالطية
(ÉRISTIQUE)

إستخدم السفسطائيون فيما بينهم طريقة الأتيلوجيا التضليلية بآليات التلاعب الكلامي في قضية «الجدال حول دفع الاتعاب» وقد سمي بقياس الإحراج والقياس المناقض له ومن الأمثلة على ذلك، قصة الفيلسوف السفسطائي اليوناني بروتاغوراس Protagoras مع تلميذه أوائلس Euathlus. فقد وافق بروتاغوراس على أن يعلم أوائلس صناعة الجدل والخطابة لقاء مبلغ من المال، يدفع أوائلس نصفه مقدما ويدفع النصف الباقي عندما يتم تخرجه، ويزاول العمل، ويكسب أول قضية يترافع فيها امام القاضي او المحكمة. لكن بروتاغوراس لاحظ أن أوائلس بعد تخرجه، يتجنب المرافعة، فظن أنه يتهرب من ذلك، حتى لا يدفع له باقي الأجر. فرفع عليه دعوى يطالبه فيها لدفع ما تبقى عليه من المال: قائلا: إذا ربح أوائلس الدعوى، فعليه أن يدفع باقي الأجر، بناء على الاتفاق المعقود بيننا، وإذا خسر أوائلس الدعوى، فعليه أن يدفع باقي الأجر أيضا وذلك بناء على حكم المحكمة (مقدمة كبرى).

ولكن أوائلس أما أن يربح الدعوى وأما أن يخسرها (مقدمة صغرى). فهو إذن/ يجب عليه أن يدفع لي باقي الأجر، على كل حال (نتيجة). لكن أوائلس الذي كان قد تعلم فن الكلام والمرافعة رد على إحراج معلمه، بإحراج مضاد له، قائلا:

إذا ربحت الدعوى، لا يتوجب علي أن ادفع شيئا وذلك بناء على حكم المحكمة، وإذا خسرت الدعوى لا يتوجب علي أن ادفع شيئا، وذلك بناء على الاتفاق المعقود بيننا. (مقدمة كبرى).

ولكن أما أن أربح الدعوى أو أن أخسرها.

إذن/ فأننا لا يتوجب علي ان ادفع شيئاً، على كل حال.
ويقال ان القاضي حار في كيفية الفصل بينهما، فاضطر إلى تأجيل الدعوى
مائة عام¹.

2 - التفضيل الجدلي المغالطي : Éristique

عرف هذا النوع من التفضيلات تحت اسم صنعة او فن الجدل المغالطي
(Τεχνην ἐριστικῶν) (ART DE L'ÉRISTIQUE) ، أما
الأرسنيك فتشير إلى «الجدلي او فن الجدل»² ولكن هذا النوع من الجدل إنخذ عند
السفطانيين طرقاً للتفضيل من أجل الاقتناع والتسلط والمنفعة، في السياسات
والأخلاقيات والإجتماعيات وفي مظاهر الحياة كافة. الأرسنيك السفطاني
يعني مجموعة «المجادلات المنطقية البارة يؤخذ خصوصاً بنحو سيء»، فيقال
فن الاستدلالات المفرضة، والمحاجات السفطانية³. و«التبكيك المغالطي،
وهو القياس الذي يعمل المتشبه بالجدلي او التعليمي، ليتج نقبض وضع ما،

1 - انظر في هذا المعنى، مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 273.
• وقد نجادل العلماء دون جدوى زمناً طويلاً حول تلك السفطة إلى وقت ليتس الذي لم يجدوا
حلاً كافياً . انظر في هذا الصدد، الكسندر ماكروفلسكي، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور ،
ص 58.

• وهذا الجدل دعي «الجدال القانوني حول دفع او تسديد قيمة الأتعاب او الشرفية».

“La Dispute judiciaire sur le paiement des honoraires”.

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, T1, p.32

2 - جبر عبد النور وادريس سهيل، التهل ... المرجع المذكور ، ص 404

3 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور ، ص 360

وبالحري ان لا نسميه تبيكياً وتوبيخاً بل تضليلاً¹، انه «شعوذة تحتال على المفاهيم... وضرب من البهلوانية اللفظية»² انه «الجدال المرء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، وقوامه استعمال الاستدلالات الموهمة... فلا غرور اذا قيل ان اصحاب هذا الفن يفتنون كل شيء دون اثبات شيء»³ انه «الجدل الموه، فهو ضرب خادع من الجدال والمناقشة للانتصار على الخصم وترجم احيانا بالخذلقة»⁴ الجدل السفتي (السفطائي) هو التلاعب بالحقيقة وانه فن التضليل والخداع واما الجدل الفلسفي فهو البحث عن الحقيقة وعن شروطها في كل الاتجاهات وبكل الوسائل⁵.

يتضح من هذه المقاربات التعريفية المتعاطفة فيما بينها ان «الأرستيقا» هي تقنية جدلية قولية لفظية مرئية مغالطية، تمويهية إغراضية متخذة لشعوذة لا إثباتية، متناقضة مع ذاتها تهدف إلى المجادلة والمحااجة والإقناع الخبيث، وغايتها الإفحام والنجاح والتسلط. فهي طريق تضليلية تتلبس في ظاهرها لبوس المنطق. وقد اعطى ارسطو مثلاً عن التضليل الارستيقى عندما اشار في كتابه «الخطابة» إلى بروتاغوراس «الذي يصير الشيء الخسيس بالكلام عظيماً... ويحق ما كان الناس متكرهين لسنة فروطاغوراس... لأنها كذبت وليست بحق... وهذه الامور موجودة في الرطورية RHÉTORIQUE والمشاغبة ÉRISTIQUE»⁶.

1 - جبر فريد، المعجم رفين، دغيم سميج، جيهامي جبرار، موسوعة المصطلحات... المرجع المذكور،

ص 174

2 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق... المرجع المذكور، ص 57

3 - صليبا جيل، المعجم... المرجع المذكور، الجزء الأول، ص 390 - 391

4 - تاريخ علم المنطق، ص 57

5 - انظر في هذا المعنى، غيث جيروم، أفلاطون... المرجع المذكور، ص 86.

6 - ارسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات

الكويت ودار العلم، 1979، ص 175

ثانياً- اللوغوس (LOGOS) الكلامي وطرقه التضليلية في الاتجاهات الفسطانية

1- تأثير اللوغوس (LOGOS) الهيرقليطي على اللوغوس الفسطاني
لقد تأثر الفسطانيون «باللوغوس»¹ الهيرقليطي وخصوصاً لجهة
اللوغوس الكلامي، ذلك أن «أحد المفاهيم الأساسية عند هيرقليطس الأفيزي،
اللوغوس تحديداً، يعني عنده سواء الكلام والفكر أو الشيء الموجود ذاتياً»².
«هيرقليطس كان يحب الأصوات والكلمات واللعب على الألفاظ والاستعارات»³
وتشكل المناقضة الكلامية، أي استعمال التناقضات الكلامية ضمن المقولة
الواحدة ميزة اقتبسها الفسطانيون من هيرقليطس وخاصة غورجياس»⁴.

2- في المقاريبات اللغوية والمفهومية «اللوغوس» بشكل عام

إن مفهوم «اللوغوس» (Logos) واشتقاقاته في اللسان

1- «لقد أثر هيرقليطس على الحركة الفسطانية تأثيراً مباشراً وخاصة من خلال فلسفة «اللوغوس»
أن مسألة اللوغوس هي إحدى القضايا الغامضة في نظر هيرقليطس، ويُعتقد أن هذه الكلمة قد
أدخلت لأول مرة عن طريقه. أن اللوغوس الهيرقليطي ليس مجرد مقولة فلسفية، بل هو أيضاً
ماهية فيزيائية وكائن أسطوري، ومن بين معاني اللوغوس بالنسبة لهيرقليطس «النظام الكوني»،
«الاعتدال»، «التناسب»، «التوازن بين الأشياء»، «النظام الأبدي الثابت والكوني الوحيد للأشياء»،
ومفاس الأشياء المتغيرة»⁵ إنه «القوة المحركة لكل تغير في الأشياء والتي تظهر من خلال الصراع»،
«أن اللوغوس في عملية كل شيء يجري»⁶.

انظر في هذا المعنى، كيبديس ثوكاريس، هيرقليطس، ترجمة حاتم سليمان، دار الفارابي، بيروت، ط
1، 1987، ص 221، 217، 216، 215، 222، 223.

المرجع ذاته، ص 120

2- المرجع ذاته.

3- أسلوب المناقضة، هو أسلوب جدلي شكلي يمكن أن يتلبس أي مضمون، فغورجياس الفسطاني
يعتبره نلية ولعبة فكر، ومن الأمثلة على أسلوب المناقضة القول «نحن لنا شيئاً، فلنكن كل شيء»،
والمناقضة هي الأسلوب البلاغي المفضل عند الخطباء اليونانيين وخاصة ديموستين.

راجع في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 128 - 129

اليوناني يتكون من عدة معان. فهو يعني «القول»¹ و«الكلام»² و«النطق»³ ومعنى (Logikon) (لوجيكون) (LOGIKON) هو عقل وعقول⁴ و (Logikos) (LOGIKOS) (لوجيكوس) فهو المعقول⁵ ومعنى «لوجيك» (LOGIQUE) يتأتى من «اللوغوس أي العقل»⁶ وأعمال العقل، وتظهراته، عديدة نذكر منها الإدراك والتفكير والتدبر والتنطق.

انطلاقاً من هذه المقاربات التعريفية يصبح «اللوغوس» ليس خطاباً كلامياً لفظياً فحسب، إنما خطاب داخلي تفكيري ويصبح التكوين اللوغوسي تكويناً نماذجياً تلازمياً تفاعلياً بين الخطاب المنطوق (القول، الكلام، اللفظ)، وبين الخطاب الداخلي التفكيري التدبري المتظاهر بأعمال العقل ونشاطاته، وتطور مفهوم اللوغوس اليوم ليصبح مرادفاً للعلم⁷.

3 - مفهوم اللوغوس بالنسبة للحركة الفسطائية وفي تغليب القول والكلام على العقل

الحركة الفسطائية وبخاصة الاتجاه (البروتاغوراسي، الفورجياي، الإيزوقراطي) غلبت أفعال اللوغوس القولية الكلامية اللفظية النطقية، على العمليات العقلية التفكيرية وذلك إنطلاقاً من فلسفته القائمة على النسبية

1 - كامل عبد البديع صموئيل، أرنيميس ثلاثينوس، قاموس عربي - يوناني، مكتبة لبنان، 1998، ص 302

2 - المرجع ذاته، ص 318

3 - المرجع ذاته، ص 240

4 - المرجع ذاته

5 - ROBERT PAUL. PETIT ROBERT. *DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANÇAISE*. P. 1107.

6 - يقال مثلاً سوسيولوجيا «Sociologie» أي علم الاجتماع

والشكبة والريية والعدمية والتغيرية والتبدلية. الاتجاه السفسطائي اعتبر أن «كل شيء زائف»¹ الوجود زائف والعالم خادع بطبيعته والقول ... الذي يريد إثبات حقيقة العالم هو قول خادع وزائف² وكذلك هي المعرفة الإنسانية فإنها مستحيلة وعاجزة³ ومتناقضة⁴ لأنها تستند إلى الحواس التي هي متغيرة ونسبية تتغير بتغير الظروف والأشخاص. إن هذه الفلسفة قادتهم إلى نفي وجود جوهر للحقيقة، وإلى نفي وجود ثوابت واقعية حقيقية. كل هذه الأمور أعدمته التكوين العقلاني المنطقي للوغوس. وأبقت على التكوين القولي المنطقي اللفظي الصوتي، وطوّرت به بأساليب الخطابة والبلاغة والفصاحة والشعر، وربما من بين الأسباب التي أدت بالحركة السفسطائية إلى التأثير بالتحويل على الخطاب الملفوظ الشفهي، هو أن «الحضارة الإغريقية، كانت أساساً حضارة شفوية، إذ أن التعليم لم يكن يستند إلى قراءة النصوص المكتوبة بل إلى سماع القصائد الشعرية الملحنة. ففي هذه القصائد تم اختزان ما يجب أن يعرفه الإغريقي عن الإنسان وما فيه»⁵. «من خلال بروتاغوراس، غورجياس يحدد دفعة واحدة طبيعة اللوغوس على أنه سلطة الإقناع والخداع الإغواني للعقل»⁶. إن السفسطائية أعطت

1 - "Tout est Faux" UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, - 1
TI, p.270

2 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 231

3 - "عجز المعرفة الإنسانية" "L'impuissance de la connaissance humaine"
LES SOPHISTES, TI, P.174

4 - "La connaissance est contradictoire" "المعرفة هي متناقضة"

المرجع ذاته، ص 187

5 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 226

6 - "... à propos de Pratogoras. Gorgias définit d'emblée la nature....
du "LOGOS" comme pouvoir de persuader et de leurrer l'esprit"
UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, TI, P.165

اللوغوس مفهوم آخر فقد «اصبح الكلام متموجا ومتذبذبا ومختلفا... اصبح فتاناً ومُضِلّاً وخادعاً فهو يغري الشباب أيضا ويضلهم. ولم يعد ينطوي الكلام على الحقيقة فقط، بل اصبح أيضا أداة إقناع وإقناع تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل دون أن تعير اهتماما للحق وللباطل»¹. والتضليل عند الحركة السفسطائية لا يرتبط فقط بالمنطقات الفلسفية التي أسست الفكر السفسطائي والتي أشرنا إليها كالنسبية والعدمية الخ... إنما هو أيضاً وسيلة للربح والانتفاع المادي للمواجهات السياسية، والصراعات السياسية بآليات الخطاب المنطوق، والذي يهدف إلى الهيمنة والزعامة وقيادة الشعب، باستخدامه طرقاً عديدة منها «التضليل العقلي» و«التضليل النفسي» و«التضليل الكلامي». فما هي طرق اللوغوس التضليلية.

ثالثاً - طرق اللوغوس الكلامي التضليلية

1 - مفهوم «الاباتي» (APPATI) بين المقابلات والمقارنات القاموسية

من خلال إجرائية المقاربات والمقارنات والمقابلات، بين القواميس اليونانية-الفرنسية والعربية-اليونانية، وتلك الفرنسية-الفرنسية

- ملاحظة: إن اللوغوس عند غورجياس، يحتوي في جوهره على «الاباتي» (Απατη) (APPATÉ) وهو مصطلح ذو أصل يوناني رادفه مترجم كتاب «السفسطائيون» بالمصطلح الفرنسي «LEURRE»². إن الاباتي في اللسان اليوناني، وخاصة عند غورجياس كما ثبت له عدة مظهرات تضليلية فلا يقتصر فقط على «الخداع» إنما على الخداع المقترن بالإغواء، لذلك فإننا ترجنا «LEURRE» المنقول عن الأصل اليوناني بمعنى «الخداع الإغوائي» وهذا التخريج سوف نعلله لاحقاً. وقد أشار المترجم إلى مرادفه كلمة (LEURRE) بالكلمة اليونانية (APPATÉ) في عدة مواضع نذكرها على سبيل المثال ما ورد في المرجع ذاته، ص 166 حيث جاء «Le "Leurre" tel qu'il est défini par le terme (Απατη) (APPATÉ)

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 227

والفرنسية-العربية ومن خلال السياقات التي ورد فيها هذا المفهوم، وخصوصاً في نصوص كتاب «السفطانيون» المنقول من اللغة الإيطالية إلى اللغة الفرنسية الذي نوهنا به سابقاً، ويتبين لنا المعاني والأبعاد الآتية:

إن القاموس اليوناني الفرنسي قد أعطى لمفهوم «الآباني» «APPATÉ» معنى «tromperie» أي خداع أي الخديعة والخدعة، أما القاموس العربي-اليوناني فبالإضافة إلى هذا المعنى فقد أشار إلى أن لكلمة «الآباني» معاني هي «الإحتيال»² و«التلاعب»³ و«المخاتلة»⁴.

أما في النصوص التي وردت في كتاب «السفطانيون» وخاصة النصوص الغورجياسية فإن كلمة «آباني» قد ترادفت بمفهومين، الأول «tromperie» أي الخداع والثاني «leurre» والذي أطلقنا عليه الخداع الإغوائي الإغرائي الجذبي. حول هذه المفاهيم، لنا التعليقات الموضوعية الآتية:

كلمة «leurre» تحيط بمعنى «الآباني» أكثر من كلمة «tromperie» الخداع. لأن مفهوم «leurre» يتخذ له عدة معاني مرتبطة ومتفاعلة فيما بينها تعكس جوهر معنى مصطلح «الآباني» اليوناني الاصل. فكلمة «leurre» تعني «قطعة جلد احمر على شكل طائر تلقى في الهواء لاستعادة الصقر إلى الصيد»⁵ أي ان هذه العملية تحتوي على معاني الطعم والفتح والخدعة والاستغواء. أما

1 - GIASSANG A., *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC- FRANÇAIS* p. 110

2 - كامل عبد البد صموئيل، ارتيبس ثلاثينوس، القاموس العربي-اليوناني ... المرجع المذكور، ص 89

3 - المرجع ذاته، ص 331

4 - المرجع ذاته، ص 93

5 - عبد النور جبور، إدريس سهيل، المنهل ... المرجع المذكور، ص 609

قاموس لاروس المترجم إلى اللغة العربية ، فقد رادفها بمعنى «الطعم المزيف والخديعة»¹، والطعم المزيف المصطنع يقابله بالفرنسية تعبير «un appât artificiel»² يتضح من شرح هذا التعبير ان كلمة «آبآ» الفرنسية مشتقة من الأصل اليوناني «آبآتي» ويتبين وجود فعل «Appater» في اللغة الفرنسية. الذي يعني ” «إجتذاب بطعم» والذي يعني أيضا «أغرى» وكذلك فإن معنى «Appât» فهو طعم جاذب و «Appas» مع حرف «s» يعني «مغريات جاذبية وإشارة إلى صدر المرأة»³. إن الاستقرائية العلمية لمعاني هذه المفاهيم انطلاقا من منهجيات المقابلة والمقارنة المستمدة من القواميس تشير إلى أن مفهوم «الآبآتي» اليوناني الأصل، الذي استعمله غورجياس لا يعني فقط الخداع رغم أن معنى الخداع بشكل طريقة مهمة من طرائقه. فلهذا المفهوم عدة معان وتظاهرات ومفاعيل، وهذا ما سيظهر معنا من خلال استقرائية التفكير الغورجياسى المتقاطع والمتوافق مع المعاني الواردة في القواميس المذكورة آنفاً. «فالآبآتي» هو الخداع هو الإغواء، هو الإغراء، يستعمل طرق الجذب والإحتيال والتلاعب والتزييف، بهدف التضليل.

- مفهوم الآبآتي من خلال الفسطاني غورجياس وطرق التضليل

المتولدة عنه

• تأثير مفهوم «الآبآتي» عند غورجياس بالمشولوجيا والتراجيليا اليونانية

من خلال النصوص الغورجياسية يتبين ان لمفهوم «الآبآتي» عدة

1 - قاموس لاروس، فرنسي - فرنسي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1993، ص 382

2 - المرجع ذاته

3 - عبد النور جبور، إدريس سهيل، للنهل ... المرجع المذكور، ص 59

معان ومفاعيل، وقد تأثر بالميثولوجيا اليونانية، إذ ورد هذا التعبير عدة مرات عند هوميروس وفي الألياذة. «يؤكد السفسطائي ان التراجيديا مع أساطيرها واختباراتها ولدت «الآباتي»، الخداع الاغوائي الذي هو أكثر تطابقاً مع الواقع»¹.

2 - طرق «الآباتي» الكلامية التضليلية عند غورجياس

أ - الخداع

إن «الآباتي» عند غورجياس يحتوي في تكوينه النبوي على أحد أهم عناصر التضليل الا وهو عنصر الخداع، ويظهر ذلك من النصوص التي تناولت الفكر الغورجياسي «الآباتي يتولد من «النشاط الفكري الخادع»² والتعرف إلى «الآباتي» كما هي الحالة بالنسبة إلى الخديعة»³ «والآباتي هو كل خديعة مهما كانت»⁴ وهو «العمل الخداعي الصائب»⁵ والخداع هو «خداع الهي»⁶ ويترافق الخداع عند غورجياس مع طرق تضليلية أخرى تكمله وتفاعله وترتبط مفاعيلها بمفاعيله وهي :

"La Tragédie, affirme le sophiste. Avec ses mythes et ses expériences - 1 leurre (Απατη) est plus conforme à la réalité..." produisit un
UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1, p.171

2 - (Απατη) "Activité de l'esprit (celui qui trompe)"

المرجع ذاته، ص 166

3 - (Απατη) "Comme c'est le cas pour la tromperie"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1, p 167

4 - (Απατη) "Toute trompeuse qu'elle soit ..."

5 - المرجع ذاته

انظر بهذا المعنى، المرجع ذاته، ص 169 «Une action trompeuse juste»

6 - المرجع ذاته، ص 166. "La tromperie divine"

ب - الإغوائية والإغرائية والجنسية:

بالإضافة إلى أن مفهوم معنى كلمة «leurre» المرادفة لأباتي الذي يعني فعل الخداع هنالك حالة من التلازم بين هذا الفعل والمفاعيل الناجمة عن عمليات الاغواء والاجتذاب المكائدي الكهائتي، الذي ينصب الفخوخ ويغري الفريسة بالطعوم المغوية الجذابة، وهذه المفاعيل تولد الطمع واللذة والفرح، «يصبح الأباتي إذن في ذات الوقت فرح العيش ولعبة الخيال في آن»¹ وهكذا إذن فاللذة الجمالية والخداع الاغوائي عبارتان يتناولهما غورجياس بشكل مستمر². وتتمظهر هذه الحالات في التجربة الخداعية الاغوائية التي يولدها الفن وبواسطة استخدامية أليات يمكن وبحسب غورجياس، أن تخلق الوقائع المزيفة.

ج - إختلاقية الوقائع المزيفة

تبنى الحقيقة الواقعية على التطابقية والانسجامية والتوافقية بين القول والواقع، بين الفكرة والواقع، بين النظرية والواقع. أما إختلاقية واقع غير موجود وغير محسوس وغير متلمس وغير معين، فهي إختلاقية تزييفية وهمية خيالية. وهذه الإختلاقية الوهمية المزيفة طريق من طرق التفكير الغورجياسي، والتي تحصل بواسطة الفنون، مثل الشعر والتراجيديا والرسم «ففي التراجيديا والرسم، أياً كان، يصبح فناً كاملاً في خداعه وإغوائه في خلق الأعمال المماثلة للواقع»³ أن غورجياس لا يؤمن بالحقيقة الواقعية، الحقيقة له هي حقيقة نسبية،

1 - «(L'απατη) est donc à la fois joie de vivre et jeu de l'imagination»

المرجع ذاته، ص 167

2 - Ainsi donc «plaisir» esthétique et «Leurre» se trouvent chez

«Gorgias...» المرجع ذاته، ص 274

3 - « Dans la tragédie et la peinture, quiconque leurre en créant des oeuvres semblables à la réalité est artiste accompli. » UNTERSTEINER

MARIO, *LES SOPHISTES*, T1. P. 170.

بخلقها ويعيشها حسب ما يرتقي، وحسب ما يشتهي. فإذا كانت الحقيقة الواقعية العلمية يتم التعرف اليها بواسطة المناهج المنطقية العقلية العلمية، فإن الحقيقة اللاعقلانية الغورجiasية يتم التعرف إليها بواسطة «الآباتي» لأنه «بواسطة «الآباتي» الخداع الإغواني، يمكننا أن نفهم بعمق الواقعية اللاعقلانية»¹.

د - الخلط والازدواجية والتخبط الفكري

إن جوهر «الآباتي» عند غورجias هو في تكوينه تكوين مزدوج ومتناقض لأن مظهراته تمتلك الطبيعة المزدوجة للخطأ والصواب: بصورة مترابطة ومتفاعلة لا انفصام فيها. هذه الطبيعة تحتوي على التناقضات والأضداد. لا يمكننا القول أن الخطاب المنطقي يناقض ذاته، ولا يمكن للمقدمة أن تناقض النتيجة. فالحكم المنطقي إما أن يكون نفياً أو إيجاباً. أما الحكم الذي يتكوّن في ذات الوقت من النفي والإيجاب يشير إلى التناقض، هذا التناقض في القول عبر الخطاب الملفوظ يؤدي إلى الإزدواجية، وإلى التخبط الفكري الناتج من عملية التضييل. إن مبدأ التكوين الازدواجي المتناقض ينطلق منه غورجias في كثير من المجالات وهذا المبدأ يسمى «Ambivalence» «اميفالانس»، وستطرق إليه لاحقاً.

هـ - الإحتيال

إن آلية الإحتيال عند غورجias تتولد من عمليات «الجاذبية»

1 - «... grâce au "leurre" à comprendre en profondeur la réalité

«... irrationnelle» المرجع ذاته، ص 272

2 - «(Απατη) aussi leurs manifestations possèdent la double nature du Faux et

« du Vrai » » ومظهرات الآباتي أيضاً، تمتلك الطبيعة المزدوجة للخطأ والصواب

المرجع ذاته، ص 176.

و«الإفتان» و«التخيل» والتي تؤدي إلى بث اللذة والفرح في النفوس. فالكلام الفتان الجذاب يولد الخيال الجذاب ويفتن النفس فتؤخذ به، وهذا ما يولد نسيان الواقع الحقيقي، والدخول في عالم الخيالات. ويتحقق الإحتيال الممارس من قبل اللوغوس الكلامي على الواقع الحقيقي. وتتولد وقائع خيالية لذينة تماماً كما هو مفعول المخدرات التي يستخدمها المدمنون، للإحتيال على الواقع الحقيقي، فيظنون انهم يعيشون في عالم إلهي « يجعل الافتان الانجذاب الإحتيال إلهياً ».

و - الإيهامية

إن الإيهامية طريقة من طرق التضليل التي يستخدمها «الآبائي»، والتي هي تركيب من تركيباته البنيوية، وألبتها تكمن في بث الوهم في النفوس والأذهان، والوهم يؤدي إلى الرؤية السرابية، التي نجعلك تعتقد وتظن ان تخيلاتك الوهمية حقائق واقعية، أما الحقيقة فتكون متناقضة للواقع. وهذه الإيهامية تؤدي إلى الخداع والتضليل. والإيهامية التضليلية عند غورجياس تمارس من خلال اللوغوس الكلامي الخطابي، المتضمن في غاليتته، وجوه البلاغة والفصاحة والشعر، الذي يعتبره غورجياس انه «وهم مبرر» "Illusion" "justifiée" (Sikéa) (Απατη σικαία) «إن عمل الشعر يكمن بخلق الوهم لأن هذا العمل ليس بمتطابق مع الواقع، لكنه وهم متمنى وحسن، لأنه يخلق الإنسجام الفكري الذي يسميه غورجياس عدل وحكمة».

"Le charme rendant divine la ruse" UNTERSTEIER MARIO, *LES - 1 SOPHISTES*, TI, P.167.

DIERBEY - GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES - 2 SOPHISTES*, P.43

"L'oeuvre de la Poésie est donc créer l'illusion, parce que cette - 3 oeuvre n'est pas conforme au réel, mais illusion souhaitable et bonne parcequ'elle crée une cohérence mentale que Gorgias nomme justice et sagesse."

ليس المهم إذاً عند غورجياس التطلع إلى الحقيقة الواقعية العلمية، وليس المهم عنده أيضاً التعرف إليها بالطرق المنطقية المنهجية الموضوعية، لأنه لا يؤمن بالحقيقة وبالمناهج العقلانية العملية المؤدية إليها. فالوهم عنده مصدره التخيلات العاطفية الفرائزية وهو غامض متغير يترتب حسب الميول والاستعدادات الانفعالية على غير قاعدة، ودون ربط منطقي بحيث انه يتألف من العواطف والانفعالات والأفكار المتهازجة ببعضها البعض. هدفها اللذة النفسية والفرح النفسي والتعويض النفسي. وهذه الأهداف برأي غورجياس تبرر وجوبية وجوده، لأنه يؤدي في رأيه إلى حالة انسجام وتناغم في النفس، وحتى لو كان هنالك تناقض وتخالف مع الواقع، وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى أن هنالك عدة أنواع من التخيلات. ونميز بين التخيلات

الوهمية، والتخيلات العلمية التي يستخدمها العلم، الذي يبحث عن الحقائق الجديدة والتي لا يمكنه الوصول إليها إلا بطرق الافتراض والافتراضية تستلزم التخيل.

إن كل طرق التضليل التي أشرنا إليها، والتي يستعملها غورجياس من خلال «الأبائي» كان يوظفها في تعاليمه، وفي خطاباتاته السياسية من خلال «الاقناعية التضليلية الخبيثة» فما هي هذه الاقناعية التضليلية وما هي آلياتها:

3 - آليات التضليل بواسطة اللوغوس الكلامي

إن من أهم المكونات البنيوية للوغوس السقطاني، هو المكوّن الكلامي الذي من خلاله وبواسطته يمارس اللوغوس مفاعيله وتأثيراته التضليلية، والتضليل الكلامي يتمظهر بواسطة التفكيرات اللفظية الفارغة، وبواسطة الكلام القروي المتسلط حيناً أو المغري الاغواني الذي يخفي في بطونه الخبث، والرياء والخداع، ويلبس في ظاهره لبوس الشعر والتزيينات والأصوات

اللفظية النغمية، المتمظهرة كألحان موسيقية، تجتذب الغرائز والعواطف والمشاعر. لأنه، وبحسب غورجياس، «الكل نمط موسيقي تأثيره الخاص على النفوس»¹، التفضيل الكلامي الذي يمارسه اللوغوس الفسطاني، يتأسس على القولية الجدلية التي تعتمد على المماثلة والمخالطة والمراوغة والمواربة، وعلى تلاعب الألفاظ والمعاني والمفاهيم، موظفة تقنيات البلاغة والفصاحة والمتجسدة بالخطابة. ومن أهم آليات التفضيل الكلامي.

1 - الإقناعية الخيثة

يجب التمييز بين الإقناعية التفضيلية الخيثة السرية والإقناعية العلمية. الإقناعية العلمية الموضوعية المنهجية، مبنية على الأدلة العقلية والبراهين العلمية المؤسّسة على الشواهد والإثباتات، وعلى آليات الاستقراء العلمي، أما الإقناعية التفضيلية فلا تستند إلا إلى التفضيل الكلامي واللفظي من أجل السيطرة، والانتفاع والتسلط. ومن العناصر المكونة للإقناعية التفضيلية:

- رضى المقتنع وقبوله بالكلام وبالرأي الموجهين إليه : من هنا القول «اقتنع بالشيء رضى به... ورجل قنعاني: يرضى برأيه»² والقول كذلك «الإقناع هو الرأي والفكرة التي تعرض على شخص لجعله يقبل هذه الفكرة أو يقوم بعمل معين»³.

- الإذعان: إن عملية الإقناع تفترض «إذعاناً نفسياً»، بحيث أن المضلل

1 - "Chaque mode musical exerce une action particulière sur l'âme" - DIERBEY - GILBERT ROMÉYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES* P.43

2 - المنجد في اللغة والإعلام... المرجع المذكور، ص 657

3 - بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية... المرجع المذكور، ص 312

(بفتح اللام) يؤمن بالكلام الموجه إليه، ويستلم به، فيخضع له وبذلك يتولد الإقناع والإقتناع.

- التأثيرية العاطفية الخيالية: الإقناعية الكلامية تفعل وتؤثر أكثر من القوة' المادية لان المتكلم يستعمل الخيال والعاطفة في حمل الخصم على التسليم بالشيء. «وإذا علمنا ان معظم الناس يتأثرون بالخيال والعاطفة أدركنا ما للقدرة على الإقناع من اثر في سيطرة الخطباء على الجماهير».
- التضييل: إن القياس الاقتاعي هو قياس تضييلي لأنه «قياس خطابي مركب من المشهورات والمظنونات».

خصائص الإقناعية الخبيثة' عند جورجياس

يعتبر الخبث السياسي طريقاً من طرق التضييل الممارس في الخطاب السياسي الملفوظ والسلوك المكتوب، وبخاصة في الخطاب السياسي الداخلي، الذي هو خطاب الحوار الذاتي المسمى خطاب النيات الميئة، المتناقض للخطاب الخارجي. والإقناعية الخبيثة هي إقناعية سياسية، مارستها الحركة الفسطائية في الحياة السياسية اليونانية وخاصة عبر «الخطابة»، إنها إقناعية مخادعة «مواربة» ومن خصائصها.

- القدرة والقوة والاستطاعة على سحر السامع : «الإقناعية تحتوي في

1 - انظر في هذا المعنى، صلياً جميل، للمعجم... المرجع المذكور، الجزء الأول، ص 111

2 - المرجع ذاته، ص 112

3 - انظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 111

4 - «الإقناعية الخبيثة» "La Persuasion maligne"

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, T1, p.178

5 - «مواربة الإقناع» "Le biais de la persuasion" المرجع ذاته، ص 283

ذاتها على هذه القدرة السحرية¹ التي تمارس سحرها بواسطة الإغراء والجاذبية المُلذّة فتصبح «قدرة الإغواء»² «والقوة التي لا تقاوم»³.

- الكمون الباطني: الإقناعية الغورجiasية تحوي في باطنها أهدافاً وغايات ونوايا كامنة مخفية، خابطة غير ظاهرة، سرية لا يدركها من تمارس عليه، إنما يرى مفاعيلها الخارجية الظاهرية العذبة الحلوة الجميلة.

- المكر والفعالية: الإقناعية الخبيثة هي «إقناعية فعالة» مؤثرة. وتأثيرها الجذاب أي، إنها تثير العواطف والمشاعر والغرائز إثارة إغوائية، ولكنها مأكرة لأنها تؤدي لاحقاً إلى الإيذاء والحاق الضرر، والذي تكون مفاعيله لاحقة. فبعد الإفتان المؤقت هنالك التضييل والخداع اللاحق، وبعد التخدير الآن هنالك الوجع والألم وكما يقال في المثل الشعبي «عندما تروح الكرة نجي» الفكرة⁴.

ب - السيطرة القوية «اللوغوس» الكلامي على الذوكسا (Δοξα) (DOXA) أي الرأي

الإقناعية بالنسبة للسفسطائي غورجias تتولد نتيجة الأمور الآتية: الأمر الأول وجود اللوغوس ومفاعيله القوية، الأمر الثاني عجز الذوكسا وضعفه والأمر الثالث آلية الإرغام التي يمارسها اللوغوس القوي على الذوكسا الضعيف.

1 - "La Persuasion contient en elle-même ce pouvoir magique"

المرجع ذاته، ص 175

2 - "Le pouvoir de séduction" المرجع ذاته، ص 178

3 - "L'irrésistible force de persuasion"، المرجع ذاته، ص 282

4 - "La Persuasion efficace"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1, p.178

ج- الأمر الأول- وجودية اللوغوس الكلامي القوي :

إن وجودية اللوغوس الكلامي، وممارسته القوية على الذوكسا الضعيف، تؤديان إلى عملية الإقناع، ومن خلال غورجياس يتبين أن اللوغوس يظهر على أنه قوة قائمة بذاتها، إذ أنه يتمتع بالحركة والديناميكية التي تشكل عناصر التأثير «فحيث ما يوجد تأثير يكون اللوغوس» الذي له «سلطة الإقناع والخداع الإغوائي» فهو يمارس فعل السيطرة على الذوكسا أي الرأي، ويشكل ضرورة له فلا يمكن للرأي أن يتحرر بأي شكل من اللوغوس، إنه «العنف السحري» «في غاية العظمة قدرته» عند غورجياس، والممارسة القوية للوغوس عنده تتجلى بمظهرين أساسيين.

1 - "Le dynamisme du Logos" "دينامية اللوغوس"

المرجع ذاته، ص 174

2 - "Où il y a action se tient Le "LOGOS"

المرجع ذاته

3 - " Pouvoir de persuader et de leurrer"

المرجع ذاته، ص 165

4 - "Le LOGOS" domine la "DOXA"

«اللوغوس يسيطر على الذوكسا»

المرجع ذاته، ص 284

5 - "La nécessité du LOGOS en regard de l'opinion"

ضرورة اللوغوس إزاء الذوكسا

المرجع ذاته، p 175

6 - "La violence magique"

المرجع ذاته، ص 164

7 - "Immense est la puissance du "LOGOS"

المرجع ذاته، ص 172

المظهر الأول: «مظهر القوة السحرية» التي تولّد «العنف السحري» الذي يتج مفاعيل الإغواء والسحر والاجتذاب واللذة، وقد أسلفنا الحديث عنها، وتمثل بكلام التشويق والترغيب والتعلق بالإقناع الكلامي الناعم، الشاعر، العذب، الجميل، الذي يدغدغ العواطف والمشاعر والفرائز، الذي يتهيج مثلاً أسلوب المديح والإطراء والتبجيل والتعظيم والتفخيم، يعتبر غورجياس: «اللوغوس المتحقق كقوة سحرية المحدد على أنه» ديناميس «القوة» والذي بسحره يتسلل في رأي النفس، بطريقة تؤدي إلى تغيير الإرادة وإنتاج الإنجذاب الإغواني الخداعي، والنجاح في الإقناع، تسوق كل هذه العملية، إلى سلوكية التغيير والتبدل في رأي النفس، والتي يمكننا الحصول عليها بوسيلتين فئيتين ألا وهما الشعر والثر»¹.

المظهر الثاني: القوة الكلامية السلطوية التي تحمل معاني السيطرة والتهديد

Le «LOGOS qui s'est manifesté comme puissance magique en vient - à se définir comme (DYNAMIS), laquelle, grâce à un ensorcellement par fascination s'insinue dans l'opinion de l'âme, en sorte de modifier la volonté, de produire le leurre (Απατη) et de réussir à persuader. Tout ce processus débouche sur changement de "l'opinion" de l'âme, que l'on peut obtenir au moyen de deux arts, la poésie et la prose d'art"

المراجع ذاته، ص 173

ملاحظة: يرادف المترجم هنا كلمة «puissance» الفرنسية بالكلمة اليونانية (ديناميس) (Δυναμις). إن هذه الكلمة الأخيرة في اللغة اليونانية يقلب عليها معنى «القوة» المادية، (Force Physique) انظر بهذا الصدد

GIASSANG. A. *Nouveau Dictionnaire Grec – Français*, p. 268.

وانظر كامل عبد البد صموئيل وارتيميس تلاسبنوس، قاموس عربي- يوناني، ص 303. أما كلمة puissance فتعني القدرة، وهناك بعض التمايزات بين مفهوم «القدرة» «والقوة»، رغم وجود بعض التفاعلات المعنوية فيما بينهما، لذلك أترنا مرادفة كلمة ديناميس بكلمة القوة بدل كلمة القدرة.

والوعيد والتحريض والتشوير والحض على استعمال القوة والعنف والتسلط. ذلك أن مسألة العنف التي يستعملها غورجياس للدلالة على مفاعيل اللوغوس القوي، قد استمدتها من هراقليطس¹ كما قد سبق وأشرنا، الذي تحدث عن العنف المادي الفيزيقي، وقد استبدل غورجياس «المادي الفيزيقي» بصفة «السحري» للدلالة على مفاعيل اللوغوس العنيفة التي تؤثر في القوى الروحية عند الإنسان تماماً كما هي مفاعيل القوة المادية التي تؤدي إلى إلحاق الأذى المادي بالإنسان.

د- الأمر الثاني- عجز الذوكا (DOXA) أي الرأي

• الذوكا هو الظن الذي يمكن أن يؤدي إلى التفضيل

هنالك حركة مترادف متفاعلة بين مفهوم «الرأي» و«الظن» فالذوكا (Δοξα) في اللغة اليونانية له معنى «الرأي» و«الظن». هذا يؤدي إلى القول، إلى أن الرأي يحمل في جوهره امكانية الريب والخطأ والتخمين والشك. وهذا

1 - ان عبارة «العلاقة الغامضة بين الفيزس واللوغوس» والتي كان قد أطلقها هيرقليطس انطلاقاً من العنف الفيزيائي، حصلت عملية انسحاب معناها على معنى العنف السحري، ذات الفحوى الروحية.

“ L'expression de la «mystérieuse relation entre Physis et Logos» qu'Héraclite avait déjà énoncée. A partir de la «violence» physique, un glissement s'est opéré dans le sens de la «violence magique, laquelle est spirituelle ...”

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T.I, p. 165.

2 - كامل عبد المسبح صموئيل، ارتيميس نلاسينوس، القاموس العربي اليوناني ... المرجع المذكور،

ص 124

3 - المرجع ذاته، ص 222

بؤكدده ما ورد في موسوعة لالاند الفلسفية فتحت عنوان "DOXA" "ذوكسا" جاء أنه "حالة ذهنية، قوامها التفكير، بأن قولاً قد يكون صحيحاً لكن مع التسليم بإمكان الانخداع ... والرأي العام أو الرأي هو الحكم الجماعي المطلق على واقعة، أو على اعتقاد من قبل مجتمع معين، بهذا المعنى، لا تتضمن الكلمة بالضرورة الوعي لدى هؤلاء الذين يتقاسمون هذا الرأي من الريب وإمكانية الخطأ".¹ لذلك أعلن افلاطون حالة التعارض القائمة «بين الرأي (الذوكسا) والعلم، وبين الرأي والفكر العقلاني».²

إن الرأي هو حالة تفكيرية فردية ذاتية خاصة، يمكن أن تكون صائبة أو تكون خاطئة ومخادعة، ويمكن أن تحمل خلفيات أو أهدافاً أو غايات نفعية مصلحية، تؤثر وتشوش وتضلّل السامعين، انطلاقاً من هذه المفهومية نجد أرسطو مهاجماً للسفطاني إيزوقراطس الذي يعتمد التضييل الاقناعي عبر «الخطابة» التي تتهج طريق الرأي الخاص الذاتي المؤسس للتأويلية النسبية، والتي يمكن أن تتحول إلى تأويلية تضليلية. ففي كتابه «الخطابة» اعتبر أرسطو أن الرأي لكي يكون صائباً يجب أن يُبرهن عنه. ومن المناهج البرهانية عنده، أن يثبت الرأي بالقول المتطابق مع الأمثال الواقعية المختبرة والمحققة فعلياً، وميدانياً، المجربة على أرض الواقع، وهو يقول «وقد تليق صنعه الجنومولوجيا (الكلام بالرأي) من الإنسان للشيء وذلك فيما جربوا وخبروا من الأمور».³ لأن المسنين عندهم الخبرات والتجارب في الحياة. إن أرسطو يعتبر أن «الرأي» يجب ألا يتأسس على البلاغة والفصاحة والوصف كما فعل إيزوقراطس السفطاني «إن الرأي قضية ليست في الأمور المفردة كالوصف لسقراطيس»⁴ أي (إيزوقراطس). إنها يجب أن

1 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 914

2 - المرجع ذاته

3 - أرسطو، الخطابة ... المرجع المذكور، ص 145

4 - المرجع ذاته، ص 142

يتأسس على تطابقية الكلام مع الواقع، وبذلك تشكل الحقيقة.

• عجز «الذوكسا» (الرأي) وضعفه

إن غورجياس كما تلميذه ايزوقراطس، يعتبر أن آليات عملية التضليل تعتمد على قوة اللوغوس الذي يمارس مفاعيله القروية وتعتمد أيضا على وجود «الذوكسا غير القادر» القاصر، العاجز عن مواجهة اللوغوس، «لأنه قليل الوثوقية وغير ثابت بحيث يرمي مداره التضليلات»، «إنه حالة الفكر الممزق بالتناقضات» ذات الطبيعة السلبية الساكنة «وتقابل سلبيته حركية اللوغوس»، فيصبح اللوغوس الفاعل المؤثر المحرك ويصبح الذوكسا في حالة الانفعال والتأثر. لذلك يعتبر غورجياس أن اللوغوس متفوق على الذوكسا

1 - "La (DOXA) Incapable"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T.I, p.173

2 - "L'opinion qui est peu sûre et instable et de ce fait, jette à l'entour d'égarements"

المرجع ذاته

3 - "La DOXA est l'état de l'esprit déchiré par les contraires"

DIERBEY-GILBERT ROMEYER, *QUESAIS-JE, LES SOPHISTES*.
P.41

4 - «الطبيعة السلبية الساكنة للذوكسا»
"La nature passive et statistique de la DOXA"

LES SOPHISTES, T.I, p.175

5 - "A la passivité de l'opinion (DOXA) s'oppose le dynamisme du
"LOGOS"

المرجع ذاته، ص 174

6 - "Supériorité du LOGOS sur la DOXA"

"تفوق اللوغوس على الذوكسا"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T.I, p.173

يرأسه يديره يحركه يفرض مفاعيله القوية عليه، فتتشأ عن ذلك عملية إرغامية اللوغوس للذوكسا والتي تؤدي بدورها إلى تسلط اللوغوس على الذوكسا والسيطرة عليه وتوجيهه.

هـ- الأمر الثالث- اللوغوس الكلامي القوي يمارس إرغامته على

الذوكسا (الرأي) الضعيف، فيحصل التضييل

ان اللوغوس القوي يفرض على الذوكسا العاجز ارغاما قهريا ليست له الطبيعة المنطقية أو العقلية بحسب غورجياس. لأن «الإرغامية المنطقية، والوجوبية المنطقية هي في ذاتها مزدوجة ومتناقضة»¹. إنه إرغام له «سلطة الإغواء»² انه إرغام عاطفي، غرائزي، تحريضي، تثويري، هذا النوع من الإرغام الذي يمارسه اللوغوس، يقهر ويتغلب على الذوكسا، يؤثر فيه، داخليا، يتلاعب به، يخدعه، يوجهه، يقوده إلى حيث يشاء، يُقِنِّعه بضلَّله (بكسر اللام).

+ النمظهرات العملية المعاصرة لممارسات اللوغوس الكلامي

القوي على الذوكسا (الرأي) العاجز وطريقة الضرب بالمطرقة
(Matraquage)

• المماثلة بين مطرقة الكلام الدعائي واللوغوس الكلامي

القوي

لا تزال تأثيرات الأصول الفكرية للحركة السفسطائية فاعلة حتى يومنا

1 - "La contrainte logique la nécessité. Logique, est elle même

"ambivalente" المرجع ذاته، ص 178

2 - "Pouvoir de séduction" المرجع ذاته

هذا وفي المجالات الإنسانية كافة. وفلسفة غورجياس السفطانية القائمة على قاعدة أن اللوغوس الكلامي القوي الذي يفرض إرغاميته وقوته على الذوكسا أو الرأي العاجز الضعيف المشتت، فيخضعه لمشيته مولداً بذلك «الإقناعية الخبيثة» ليست سوى تمظهر من تمظهرات طرق التفضيل.

هذه الفلسفة نجد تجلياتها في الدعاية السياسية بجميع وسائلها وألياتها. القاعدة الغورجiasية اقتبستها الدعاية المعاصرة اقتباساً يكاد يكون حرفياً مع بعض التعديلات الاسمية لتبسيط فهمها أمام رجال السياسة والدعاية، فأطلقت عليها اسم طريقة الضرب بالمطرقة (Matraquage)، وقد رودفت في اللسان العربي "بالمقمعة" ومن مفاعيلها الضرب باستخدام القوة، المماثلة لمطرقة الحداد، التي تطرق الحديد لتمده وترققه لتليته ليصنع به القوالب التي يريد، وتستخدم أيضاً كمقمعة لضرب الفيل القوي البنية على رأسه لتقمعه.¹

اللوغوس الكلامي القوي يتكوّن من عناصر قووية، والإعلام القوي يتألف بغالبية من الكلام القوي، والمطرقة المقمعة هي تمثيل للقوة الكلامية القائمة، وكما أن اللوغوس الكلامي القوي يمارس قوته على الذوكسا (الرأي) الضعيف، فيرغمه ويقهره ويخضعه، كذلك هي مطرقة الدعاية التي تضرب

1 - مطرقة، مقمعة: Matraque الضرب بالمطرقة: Matraquage

راجع عبد النور جبور وإدريس سهيل، المنهل... المرجع المذكور، ص 651

2 - طرق طرّقاً، طرّقه: ضربه بالمطرقة، وطرق الحديد: مدّه ورقّقه

انظر، المنجد في اللغة والأعلام... المرجع المذكور، ص 464

3 - المقمعة: وهي من فعل القمع، ومعنى القمع في اللسان العربي: كما تم نقله إلى الفرنسية هو:

Frapper, cogner quelqu'un à la tête.

Frapper l'éléphant à la tête avec un instrument de fer recourbé

Kazimrski, *Dictionnaire Arabe - Français*, T2, p.81

الرأي بضربات متلاحقة لتلته ولتصنعه صناعة متناقضة لإرادته.

مطرفة اللوغوس القوي التي تستعملها الدعاية المعاصرة، تستخدم كما استخدم غورجياس الضربات القوية التي تمس العواطف والغرائز والأهواء. والقول أن مطرفة الدعاية تضرب الوجدان الجماعي، والرأي العام بأسره، هو قول مبالغ فيه، ويقع في خطأ التعميم المنهجي. أما القول بأنها تسلط على غالبية الآراء، فهو قول قد تحققت كلماته واقعياً لأن غالبية الناس لا تهتم بالمنطقيات والمنهجيات العقلية والعلمية ويزعجها التدقيق والتحقيق في البحث، إن الرأي العام يهتم لما يثيره ويلذه، ويتأثر بها يخيفه أو يرهبه. فكيف يمارس اللوغوس الدعائي طريقه للذوكا (الرأي)؟

و - التظاهرات العملية المعاصرة لممارسة اللوغوس الكلامي قوته على الذوكا (الرأي) العاجز، وطريقة الضرب بالمطرفة (matraquage)

تتهج مطرفة اللوغوس الكلامي الدعائي لإخضاع الذوكا وتضليله آليات متسلسلة ومتراصة، تبدأ المطرفة الدعائية بضرب الذوكا (الرأي) بضربات متكررة ومتلاحقة يث الفكر المضللة (بكر اللام) دون انقطاع، لتستجلب انتباه الرأي وتركيزه، بحيث ينشئ عن الأفكار التي تهمة، والترداد المتلاحق للطرق الإعلامي للفكرة الواحدة المضللة (بكر اللام) يتلبس عدة وجوه ويتقنع بها¹ ويؤدي إلى زرع الفكرة في وجدان المضللين (بفتح اللام)

1 - إن الفكرة الواحدة المضللة (بكر اللام) تنتج بعدة أوعية إعلامية ودعائية، وتلبس لبوساً مختلفة، وهذه القاعدة نرى في علم الدعاية «توزيع الأدوار» وهي قاعدة تضليلية تخدع الرأي العام وتسيطر عليه. يتم طرق الفكرة بطرق إعلامية متعددة لأن وسائل الدعاية الإعلامية في تطور مستمر، فثبت الفكر نفسه في الإذاعات والتلفزة، وتروج لها التبرجمات الملفقة والاستغناءات الشعبية المزورة، وتتناوفا مجالس الخطابة اللفظية الفارغة، وتعرضها اليا فطات والملصقات، وتُسخر لها الشعارات الموهمة والمظاهرات المصطنعة، وتجهشها زوايا الانترنت. الفكرة الواحدة المضللة تتردد ذاتها بأساليب ووسائل مختلفة.

بالقوة، وهذا الزرع القوي يؤدي إلى تحطيم حصانة الرأي وتعطيل قدرته على التمييز بين الخطأ والصواب، فيقمعه دون أن يترك له الحرية في أخذ الخيار الحر، فتحصل عملية التهاوي والتذات بين الفكرة التي يطرقها اللوغوس الإعلامي القوي والرأي فيسلم الرأي^١.

4 - التضليل النفسي عند غورجياس بواسطة «البيكاغوجيا»

أ- البيكاغوجيا (psychagoge) والحرب النفسية - السياسة

إن الحركة الفسطائية كما يتبين لنا من الدراسات النصية الاستقرائية القرآنية والتحليلية، تتجسد في الواقع حركة صراع وصدام طالت الفكرين الفلسفي والسياسي^٢، وطالت الخطابات الملفوظة والسلوكية والمكتوبة، هذه الحركة الصراعية الصدامية تهدف إلى السيطرة السياسية والتسلط السياسي. وهذه الهدفة تستلزم وسائل فعالة، أهمها وسيلة التضليل الموجهة إلى المكونات السيكولوجية للإنسان، الذي هو كائن فعال بمفرده، ومن حيث اشتراكه في المجتمع السياسي. فالجماهير الشعبية هي الهدف الأساسي «للسياسة» وللدراسات السياسية. السياسة تختبر ذاتها إنطلاقاً من تجربتها الواقعية المتجسدة في العلاقات التفاعلية القائمة بين البشر. المتمثلون بأشكال وصيغ متعددة، مؤسسات، هيئات، جماعات، أحزاب، قادة، جماهير، دول الخ... .

١ - إن الطرقات الإعلامية المرددة والمتكررة تمهد الرأي ونجعل مستلماً مثلاً عاجزاً عن المعارضة والرفض، بنجم عن ذلك سام النفس وبأسها، بحيث أنها تمنى أن تسلم بكل ما يفرضه اللوغوس القوي الدعائي عليها مقابل أن تتخلص من مفاعيله القوية من إرغام وإخضاع ولجاجة وملاحقة، فيحصل استسلام الذوكا (الرأي) للوغوس الدعائي.

٢ - الصراع السياسي والفلسفي نعني به الصراع الذي كان بدور رحاء بين الحركة الفسطائية والحركة الفلسفية القراطية الأفلاطونية الأرسطية.

«البيكاغوجيا، فن قيادة النفوس» قيادة الجماهير، وهذه القيادة في مفهومية الحركة السفسطائية، ليست قيادة إلى الأخلاق والقيم، لأن زعماء هذه الحركة وغالبية البارزين فيها، لا يؤمنون بالأخلاق والقيم كما بينا. إن تلك القيادة هي قيادة خبيثة مأكرة، يمحها الانتفاع والمصلحة والانتهاز وهدفها النجاح والسيطرة. وكما أن هدف البيكاغوجيا لا أخلاقية، كذلك هي وسائلها وطرقها وآلياتها.

البيكاغوجيا عبر اللوغوس الكلامي المضلل تقود النفوس والجماهير مغتصبة إياها بخبث ومكر ومخادعة، مستخدمة التلاعب والإغواء والاقناع، والتأثير في العواطف والغرائز والمشاعر ومكونات النفس الإنسانية. إن «البيكاغوجيا» التي أسس قواعدها وآلياتها السفسطائي غورجياس ومارسها في البوليس اليونانية لا تزال تمارس اليوم تحت أسماء وعناوين مختلفة «الحرب النفسية»، «الحرب المعنوية»، ويعود الفضل للحركة السفسطائية وبخاصة إلى

(ψυχαγωγία) Psychagogie : art de conduire les âmes - I

MARIO UNTRSTEINER, *LES SOPHISTES*, T.I, p. 283

هذا التعبير اليوناني الأصل مؤلف من كلمتين، الأولى (ψυχή) (PSYCHĒ) (بسخي) أي النفس، والثانية

(ἀγωγή) (AGOGĒS) (أغوغوس) أي القائد الموصل وهذه الكلمة وليدة فعل (ἀγω) (AGO) (أغر) ومعناه وجه (DIRIGER) ومنه التوجيه.

انظر في هذا المعنى :

GHASSANG, A., *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS*, p.14-15.

وأيضاً:

الفقي محمد عبد الرحمن وفليب غليترس، قاموس يوناني عربي ... المرجع المذكور، ص 5 و 6. هذا يعني أن البيكاغوجيا هي طريقة في التضليل النفسي، تؤدي إلى قيادة النفوس وتوجيهها توجيهاً تضليلياً وتلاعب بها بهدف التسلط والسيطرة عليها.

بروتاغوراس وغورجياس وايزوقراطس، في تكوين «فلسفة التضليل السياسي» بكل مجالاتها العقلية واللفظية والى غورجياس لجهة التضليل السياسي الموجه إلى النفوس. ليس على مستوى التنظير فقط إنما أيضا على مستوى التطبيق العملي الممارس في البوليس اليونانية.

ب- أهم قواعد التضليل التي تستخدمها البيكاغوجيا الغورجياسية.

القاعدة الأولى - قابلية النفس للتضليل

ينطلق غورجياس في ممارسته التضليل على النفوس والتلاعب بها، من قاعدة ان النفس الإنسانية في طبيعتها قابلة للتضليل، وهو يركز على الأمور الآتية:

- الأمر الأول: استلام النفس للمؤثرات الخارجية وخداع الحواس.

بالنسبة للسيكولوجيا الغورجياسية، «النفس بصورة جوهرية وأساسية سلبية لا تقاوم، إنها بكلّيتها «تسلم لما تلتقاه من الخارج» هذا التلقي، يكون دون مقاومة، أو ممانعة، فالنفس تكون غير محصنة، «ياخذ غورجياس مثل الخوف النابع من رؤية أسلحة الحرب المماثلة للأعين كمشهد إستعراضي، حين يهتزّ النظر وتهتزّ النفس، رغم أنه ليس من خطر حقيقي يهددها، ثمة العديد من الذين

L'âme est essentiellement passive, toute entière livrée à ce qu'elle - 1
reçoit du dehors"

DIHERBEY- GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES
SOPHISTES*, p. 45

يشاهدون أدوات الحرب هذه، يصابون حيثذ بحالة هلع ، بقدر ما رسمه النظر في نفوسهم من صور الأشياء التي أدركت¹.

إن عملية التضليل النفسي هذه، تستخدم بين الدول وبين الجيوش ضمن ما يسمى «الحرب النفسية» من ضمن إطار التهويل، والتخويف، والتهديد، باستعمال القوة، ولبث الرعب والخوف في نفوس القادة، ولقتل معنوياتهم. وإذا فككنا تفاصيل هذا المثال الغورجياسى نجد ان مشهديه القوة العسكرية هولت على النظر فقلبه والذي بدوره اثر في النفس وقلبها من حالة الطمأنينة إلى حالة الخوف، ومن حالة السكينة إلى حالة الإرباك. إن حاسة النظر أثرت في النفس وتلاعبت بها. النظر نقل إلى النفس احساسات مفاعيل هذه القوة العسكرية على أنها تقوم فعليا وواقعا بأعمال القتال والتدمير. بيد ان الواقع الحقيقي مغاير لهذه الاحساسات، لأنه فعليا وعمليا، القوة العسكرية هذه، لم تنفذ أي أعمال حربية عسكرية.

- الأمر الثاني: المؤثرات الكلامية في النفس

ينطلق غورجياس في ممارسة التضليل على النفوس والتلاعب بها، من قاعدة أن النفس الإنسانية قابلة للتضليل، كما هو الحال بالنسبة للذكوا، وذلك

Gorgias prend l'exemple de la « peur qui vient de la vue ». Que - l'on donne des armes de guerre en spectacle aux yeux, alors la vue « est bouleversée et bouleverse l'âme » : quoique aucun danger réel ne les menace, bien des spectateurs de ces engins guerriers sont alors en proie à la panique « à tel point la vue a dessiné dans leur esprit les images des choses qu'ils ont perçues ».

المرجع ذاته، ص 45 و 46

بفعل التضليل الكلامي، الذي يمارسه اللوغوس، «يشتت اللوغوس بواسطة الخداع الإغوائي نفسي وإرادتي»¹ ويعود ذلك إلى أن غورجياس الذي يعتبر إن سلبية النفس وعدم مقاومتها يكمن في انفتاحها على الكلام»² أن اللوغوس الكلامي عند غورجياس يمارس فعالية تأثيرية في النفس من أجل تضليلها بواسطة «الإقناعية» وقد تطرقنا إلى هذه القضية، وهو يعتبر أيضاً «أن الإقناعية تتضمن البسيكاغوجيا وتشملها»³ معتبرا إياها وسيلة تضليل كالخداع والإغواء.

- الأمر الثالث: الإيجابية

إن الإيحاء يلعب دورا فعالا في عمليات التضليل الموجه إلى النفس الإنسانية. لكي يتحقق الإيحاء يفترض وجود مسببات خارجية برانية تؤثر في النفس وتولد فيها شعورا جديدا أو تبدل شعورها السابق، وهذه المؤثرية تغير توجهات النفس وتقود مسارها وتلاعب بها بغية تضليلها. تعتمد الإيجابية الغورجiasية في مسلكها على آلتين، الأولى الإيجابية المتولدة من اللوغوس الكلامي، والذي بواسطة مفاعيله القويّة أو الإغوائية يؤدي إلى بث الإيحاءات في النفس والتأثير فيها وتضليلها.

“Le LOGOS par le biais du leurre détourne mon âme et ma volonté” - 1

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, T.I. p. 271

“ La passivité de l'âme est son ouverture au langage” - 2

«إن سلبية النفس هي في انفتاحها على الكلام»

DIERBEY - GILBERT ROMÉYER- *QUE SAIS-JE ? LES SOPHISTES*, p. 46

“La persuasion implique la psychagogie” - 3

LES SOPHISTES, T.I. p. 286

والثانية الإيحائية المتولدة من عالم الأحاسيس «يمكن لعالم الأحاسيس أن يمارس ذات الإيحائية المأسوية التي يمارسها اللوغوس»¹ وعالم الأحاسيس عند غورجياس يتكون من الأشياء المحسوسة أي الأشياء الخارجية التي يحس بها الإنسان إن اللوغوس الكلامي هو الذي ينقل ويعكس صورة وتأثيرات هذه الأشياء والانفعالات المتولدة عن النفس نتيجة مفاعيل تعبيره عن هذه الأشياء، والتي تتولد عنها الإيحاءات المضللة.

القاعدة الثانية - اللاعقلانية:

القاعدة الثانية التي تستخدمها البيكاغوجيا، في سلوكها التضليلي الموجه إلى النفس، هي قاعدة اللاعقلانية، وتسمى «البيكاغوجيا اللاعقلانية»² والتي تنتج مفاعيل شعورية، إحاسية، أهوائية، لا عقلانية. «واللامعقول L'IRRATIONNEL هو المناقض للعقل أو الغريب عنه، ويقابله المعقول...، اللامعقول، هو الذي يتجاوز حدود العقل، والذي يقف عنده التفسير المنطقي للأشياء، وهو أيضا اللامفهوم الذي لا نستطيع إدراكه أو تفسيره بأسباب مقبولة في العقل...، واللامعقول هو اللامنطقي»³.

البيكاغوجيا الفورجيازية اللاعقلانية في أسلوبها، والتي لا تستعمل آليات المنطق العقلي لأنها لا تؤمن به، تستعمل منطقاً آخر مغايراً للعقل هو

1 - "Le monde des sensations peut exercer la même suggestion tragique que le "LOGOS"

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, T1, p 179

2 - "La psychagogie irrationnelle"

المرجع ذاته، ص 178

3 - صليبا جيل، المعجم... المرجع المذكور، ص 285

«منطق العواطف». وفي صدد شرح مدلول هذا التعبير، يظهر لأول وهلة تعبيراً يتضمن التناقض «البينداتي»^٥، فكيف يكون منطقاً وفي الوقت نفسه يكون عاطفياً؟ إنَّ مفاعيل المنطق هي مفاعيل عقلية تفكيرية، وأما مفاعيل العاطفة فهي شعورية إحساسية، وأحكام العقل تتناقض في كثير من الأحيان مع أحكام العواطف.

قلنا منطقاً، لأن الفسطاني غورجياس يستخدم التضليل النفسي من أجل السيطرة والتسلط والانتفاع والمصلحة. وعملية الاستهداف تتجهج آليات التفكير والتخطيط وتستخدم وسائل ومناهج وخططاً. وكل هذه الأمور تتصل عنده بالنتيجة المنفعية التي يتغيبها من غير أن يكون بينها وبين تلك النتائج روابط منطقية.

وقلنا عاطفياً، لأن هذا المنطق يتجهج خططا تستخدم آليات وطرقاً تتوجه إلى مكونات النفس، وأهمها المكونات العاطفية؛ بالإضافة إلى المكونات الأهوائية (الهوى) والغرائزية، وإلى الميول والشهوات والرغبات والأحاسيس. والحياة الانفعالية، واللذة، والمهيجان. ومن أهم هذه الطرق الخطابة والشعر والموسيقى والفصاحة والبلاغة والتي يعبر عنها «اللوغوس» اللاعقلاني الذي يمارس السيطرة^٦ اللاعقلانية على النفس والذي له مظهرات مخادعة وتضليلية.

• «ان مصطلح «البينداتي» وضعناه مقابلة للمصطلح الفرنسي «Intersubjectivité» وهو يترجم أيضاً «بالضمن فانية»، أنظر في هذا المعنى، أيوب فرنسوا، ترجمة قاموس لاروس الفلسفي ... المرجع المذكور، ص 46.

1 - «LOGOS Irrationnel exerçant son empire»

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1, p. 178

القاعدة الثالثة - استغلال «الشعور المزدوج والمتناقض في النفس»
(AMBIVALENCE) واستغلال الوقت السانح المزدوج والمتناقض
انطلاقاً من مبدأ النية والتغيرية والتناقض، اعتمد غورجياس قاعدة
الاميفالونس في عملية التضليل السيכולوجي، فهذه القاعدة تمس عنده النفس
واللوغوس والوقت. النفس متقلبة ومتبدلة ومستسلمة ومتناقضة، العواطف
ومزدوجة الشعور.

واللوغوس الكلامي «كأداة إقناع، فهو مزدوج ومتناقض»¹ لأنه يحتوي
في جوهره على الخداع والإغواء وكذلك هو الحال للوقت السانح فهو مزدوج
ومتناقض: يعتريه التبدل والتغير وهنا نستحضر الأمثال الشعبية القائلة «يوم لك
يوم عليك» و«الدولاب قلاب» إشارة إلى انقلاب الظروف الزمانية من ظروف
مواتية إلى ظروف معاكسة. البيكاغوجيا الغورجiasية في تضليلها المكونات
النفسية للإنسان تنهز وتستغل عامل وجود الشعور المزدوج والمتناقض في
النفس، وتلاعب به. فما هو «الاميفالونس»؟ وما هي خصائصه؟ وكيف تتم
آلية التضليل بواسطته؟

لقد قارب القاموس الفلسفي لديديه جوليا «الاميفالونس» على أنه
حالة «ازدواجية الشعور (تكافؤ القدر) يمكن أن تشعر في آن واحد وفي حالة
معينة بشعورين متناقضين. هناك طابع ازدواجي متأصل في النفس الإنسانية
التي تنوق إلى الطهارة، أو في الوقت نفسه يتعاطى الفرد الدعارة والتي تبغض في

1 - "Le "LOGOS" comme persuasion: son ambivalence..."

المرجع ذاته، ص 165

2 - "Ambivalence de (Καίρος) "KÉROS"..."

"الازدواجية التناقضية للوقت المناسب"

المرجع ذاته

حين أنها تحب»¹.

أما موسوعة لالاند الفلسفية فقد اعتبرت انه «لبس، شبهة، قيمتان متعاكستان يقال على الأهواء التي تجعل صاحبها يعاني من شعورين متناقضين. «لا أستطيع أن أعرف إن كنت أحب أو أكره (راسين، اندروماك) أو قابلتان للتحول الفجائي، إلى تقيضهما. كالرعب المصحوب بالجاذبية وأيضا الأحلام على قدر ما يمكن إظهار الخوف من شيء واحد والرغبة فيه»².

يتضح من تفكيرك هذه المقاربات أن لفظ الاميغالونس (Ambivalence) يمتلك الخصائص الآتية:

إنه حالة نفسية تلمس المكونات النفسية للإنسان كالشعور والعواطف الأهواء (البغض، الكره، الحب، الرعب، الخوف، الرغبة، الإنجذاب) إنه حالة نفسية تعكس ازدواجية الشعور النفسي والعاطفي ومن صفات هذه الازدواجية، التناقض، التضاد، التعارض، التقابل. إن حالة الازدواجية في الشعور مع صفاتها هي متساوية ومتوازية الحدين في الإنسان ومتكافئة القدرة والفرص، فهناك إمكانية أن تغلب حالة على أخرى، في حالة التأثير البراني والجواني للنفس. وهذه الحالة تعكس العلاقة التفاعلية التبادلية بين الخارج والداخل التي تؤثر بالنفس. إن آلية التضليل البيكاغوجي عبر التلاعب الإزدواجي النفسي تتمظهر بالآتي :

1 - AMBIVALENCE: possibilité pour un sujet de ressentir en même temps et dans une situation donnée deux sentiments opposés

أيوب فرنسوا، ترجمة القاموس الفلسفي ... المرجع المذكور ، ص 17

2 - لالاند أندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور ، ص 483

إن اللوغوس الكلامي القوي، المخادع، المغوي، المغري، الجاذب، المتسلط الموارب، الخيث، يؤثر في النفس، كاسرا المساواة ومحدثا الخلل، في التوازن والموازاة القائمة ضمن قاعدة الاميغالونس النفسي، هذا الخلل في التوازن والتساوي، يؤدي إلى تغليب دقة على دقة، وسيطرة حد على حد، وتقوية قدرة طرف على الطرف الآخر. وعملية التلاعب بالنفس وبشعورها بتكون بحسب أهداف اللوغوس الكلامي وغاياته. فإذا كان التلاعب التضليلي يهدف إلى إثارة النفس وإغضاها، يستعمل قوته التحريضية، فتحول السكينة إلى غضب، وإذا كان التلاعب التضليلي يهدف إلى جذب النفس وإغوائها، يستعمل قوته الناعمة الخبيثة المغوية فيقلب الغضب إلى حب. إن اللوغوس الكلامي يتلاعب بقانون اجتماع الضدين في النفس، انطلاقا من قاعدة الاميغالونس، التي تستغلها البيكاغوجيا كطريقة من طرائق التضليل.

5- التضليل بطريق التكيف الباسي الكلامي

1- المكونات الفكرية لهذه الطريقة:

إن التضليل التكيفي عند بعض مفكري الحركة السفسطائية، ينطلق من تفكيرهم القائم على النزعات الفلسفية المقلدة على قوانين التبدلية والتغيرية والنسبية والذاتية والعدمية. فالعالم مخادع بطبيعته، والمعرفة الانطولوجية عديمة الفائدة، لأن موضوعاتها زائفة، العالم متغير والحقائق نسبية متحوّلة تفرضها الواقعية، والواقعية تفرضها الظروف والمناسبات، وهذه الحقيقة تكون مستحيلة إذا حاولت تجاوز الظروف والواقعية. غورجياس «اعتبر ان قضية الوجود زائفة والعالم خادع بطبيعته»¹، فيصبح القول الذي يريد إثبات حقيقة العالم المتغير

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 731

والتبدل هو قول مخادع مضلل.

لذلك، فإن المعرفة الانطولوجية عقيمة غير متجة. وتصبح المعرفة الصحيحة لبعض مفكري الحركة الفسطائية معرفة التلاؤم والتناسب مع هذا العالم المتغير، ومعرفة الفرص السانحة والأوقات الخصبة، التي يجب استغلالها وانتهازها للمصلحة الخاصة وللاتفاف الشخصي. لهذا يدعو بروتاغوراس تلاميذه إلى وجوب أن يتعلموا كيفية تكيف طموحاتهم مع الظروف الاجتماعية والسياسية¹ ويدعو غورجياس إلى «تكوين القدرة على الكلام والقول والإقناع وانتهاز الفرص والتلاؤم مع متغيرات المجتمع والحياة»² وبما أن أقوالنا تختلف باختلاف الناس والمجتمع فتكون الحقيقة نسبية والقيم متعددة. لذلك يجب تكيف القول حسب حاجيات السامع الطرفية والتأقلم مع رغباته أو ترويض أفكار الناس على خلق أفكار مناسبة حول كل الموضوعات وفي كل المناسبات³. أما بروتاغوراس، خدمة لتحقيق ممارساته التكيفية مع المجتمعات، يقوم بدراسة وتحليل تركيبة قانون "Nomos" مجتمع من المجتمعات، ويعلمنا كيف نتلاءم معه وكيف نعال رضى أفراد هذه الجماعة⁴.

وتتم آليات التكيف عند الفسطائيين عبر «اللوغوس الكلامي». هذا اللوغوس المضلل المخادع المغوي الفتان، القروي، المتناقض الذي يملك القوة والقدرة على التغير والتبدل الذي بواسطته تشكل عملية التكيف؛ والتلون بألوان المناسبات الزمانية والمكانية، والذي يتهاز الأوقات ويستغل الفرص

1 - الموسوعة الفلسفية العربية .

2 - المرجع ذاته، ص 732

3 - المرجع ذاته، ص 729

4 - المرجع ذاته

السانحة، فتارة يتمظهر لابسا ثوب الإقناع القووي، وطورا يتلبس لبوس الإغواء
والجاذبية والإغراء، وحيناً يرتدي أقنعة القوة والتهويل والتخويف والتشكيك.
وان فشل في ذلك، ينقلب إلى انتهاج طرق التكيف الحبيثة التي تهدف إلى المبالغة
والمداانة والمسايرة والمجاراة.

2 - أهم تقنيات التضليل الكلامي والتكيفي:

ومن أهم تقنيات التضليل التكيفي عند الفسطانيين، نذكر على
سبيل المثال لا الحصر «الارستيك» و«الانتبولوجيا» عند بروتاغوراس. أما
عند غورجياس فنجد بالإضافة إلى تمظهرات اللوغوس التضليلية التي أسلفنا
الحديث عنها التقنيات الآتية:

أ - تقنية «المواربة»¹ الكلامية المتمظهرة بالمواربة الإقناعية
وبتكيف الكلام والإقناع بحسب الظروف المكانية،
والزمانية ووفقا للمناسبات وتستخدم المواربة الإقناعية آلية
«الملائمات الكلامية»² مع هذه الظروف التي تتغير وتبدل
معه.

1 - ان الفسطاني غورجياس يعتبر ان الظروف والأوقات هي مواربة وكذلك هي الإقناعية (par le biais de la persuasion). لذلك فإن التكيفية التضليلية الحبيثة تفرض ملاءمة الكلام
الموارب للظروف المواربة لإنتهاز الظروف السانحة والمناسبات الخصبة.
انظر في هذا المعنى:

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1. P.270-283

2 - كلمة «ملائمة» تعني في اللغة اليونانية (Πρεπων) (برييون) (PRÉPON) وهي مرادفة
لللمعة الفرنسية (CONVENABLE)

المرجع ذاته، ص 284

ب- تقنية «الارتجالية» الكلامية والتكيف مع المواقف وطبائع السامعين، ومجادة أفكارهم وأهوائهم وغرائزهم وميولهم وتمنياتهم السيكولوجية، وهذا يؤدي إلى انتهازية الظروف والأشخاص والمواقف والآراء.

ج- تقنية «الانتهازية» التي تتهمز الفرص السانحة والمناسبات الخصبة، وتستخدم طرق التضليل الكلامي كالإلهائية والمشاغلة والمداينة والاعوانية والتحريرية والإثارة والتخويف أو الترغيب من أجل انتهاز الحالات النفسية والفكرية والعاطفية للشعب واغتنام الفرص للاستفادة منها بغية الانتفاع والنجاح والسيطرة والتسلط.

1 - L'Art d'improviser des discours

أي "فن ارتجال الخطبات"، المرجع ذاته،

وفي هذا السياق، تفرز الارتجالية، غالبا بالخطابة المتظهرة بالخطاب الملفوظ عبر الكلام.

2 - ان معنى الانتهازية في اليونانية تعني (καιρος) "kéros" "كبروس" وهذا المعنى يفترض وجود:

أ- عنصر الأوقات والظروف والفرص الخصبة والمناسبة والملائمة

(Temps, circonstances, moment favorable, occasion, opportunité)

GHASSANG A.-LE NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS, p. 474

ب- وعنصر انتهاز أو تحين أو اغتنام الفرصة من هنا تأتي الكلمة اليونانية (καιροσκοπία) (Kéroskopia) "كبروسكوبيا" أي الانتهاز أو التحين أو اغتنام الفرصة والكلمة اليونانية (καιροσκοπος) (KÉROSKOPOS) "كبروسكوبوس" تعني المتهمز والتحين أو اغتنام الفرصة.

انظر في هذه المعاني، الفقي محمد عبد الرحمن، القاموس اليوناني العربي... المرجع المذكور، ص 203

رابعاً - التسمية التمويهية في التسميات

يظهر أن التضليل عند بعض أعلام الحركة الفلسطينية، لم يقتصر على الخطاب السياسي الملقوظ فحسب، إنما طاول سلوكهم. ويقر بذلك بروتاغوراس قائلاً «واني أنادي بأن الفلسطينية فن عريق ولكن المشتغلين به في الأزمنة القديمة، بسبب بغض الناس له يخفون تسترا تحت أسماء مختلفة، فيتخذ بعضهم اسم الشعراء مثل هوميروس ويتخذ البعض أسماء رجال الدين مثل أورفيوس ... وهذا هو مواطنكم اجاثوكليس زعم انه موسيقي، ولكنه كان في الحقيقة فلسطينياً ضليعاً»¹ يتضح من هذا الاقتبس.

إن بعض أعلام الحركة الفلسطينية كانوا يمارسون أعمالهم الفكرية النظرية والعملية في جو من السرية والخفاء، أي انهم كانوا يخافون المجاهرة العلنية إما لخوفهم من الناس كما قال بروتاغوراس وإما لأن عقائدهم كانت عقائد هدم وتخريب وتضليل وتفتضي لنجاحها السرية.

إن بعض الفلسطينيين كانوا يعتمدون في تضليلهم الناس على التستر والتمويه وذلك باستخدامهم الأسماء الزائفة المستعارة، للتستر على أسمائهم الحقيقية لأن الاسم يرتبط بالشخصية، فإن اكتشاف الأسماء الحقيقية يقضي إلى كشف الشخصية الحقيقية وفضحها.

والنوع الثاني من التضليل الذي مارسوه هو التضليل باتخاذ الغطاء الساتر، وهو كناية عن تظاهر بعضهم بأنه يشغل عملاً معيناً، أما في الواقع فهو يشغل عملاً آخر، وهذا يعني أن ما هو ظاهر، هو وهمي، وغطاء ساتر للعمل الحقيقي. تماماً كما هي حالة «اجاثوكليس» الذي كان في الواقع، يمارس «الفسطة». أما في الظاهر المعلن أمام الناس فهو «موسيقي».

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 723

خامساً- هدف التضليل عند الفسطائين بين «البيطرة» و «التسلط»
1 - المترون انثروبوس (Maïtron anthropos) أو الإنسان

الميطر

كما ان للتضليل السياسي عند زعماء الحركة الفسطائية له أصوله الفكرية، كذلك لأهداف التضليل جذور فلسفية فكرية. التضليل السياسي عند الفسطائين يهدف إلى السيطرة والتسلط على الجماهير، ومن خلالها السيطرة على كل المجالات السياسية والمؤسسات السياسية في البولس اليونانية، بواسطة اللوغوس الكلامي ومفاعيله القووية كما يتنا، وقد وضع «بروتاغوراس» زعيم الحركة الفسطائية ومعلمها الأسس الفلسفية للسيطرة والتسلط. عندما أطلق مقولته الشهيرة «المترون انثروبوس» (Μετρον ανθρωπος) ' (أي الإنسان الميطر) الذي هو صاحب السلطان واليادة، «سيد التجارب»² وسيد المعرفة يتحكم فيها حسب منفعة ومصلحته وحاجاته.

- في إشكالية شرح كلمة «مترون» (Maïtron)

هل ان كلمة «الميترون» التي نطق بها بروتاغوراس تعني البيطرة والتسلط، كما فسرهما وشرحها انترستينر (INTERSTEINER) أحد أهم الباحثين في الفلسفة الفسطائية، عبر مؤلفه الشهير «الفسطائيون» "LES SOPHISTES" ؟ أم أنها تعني «الإنسان المقياس» نسبة للتعبير اللاتيني "HOMO MENSURA" ؟³، نميل إلى القول إن «الميترون» تعني البيطرة

1 - UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. T1. P.73

2 - "Maître des expériences"

المرجع ذاته، ص 79

3 - CHEVALIER JEAN-JACQUES. *HISTOIRE, DE LA PENSÉE*

POLITIQUE. T1. p.30

والتسلط، انطلاقاً من الإثباتات الموضوعية المنطلقة من القرائن الإثباتية الآتية:

2 - قرينة الأصول اللغوية الإيتيمولوجية

إن أنترستينر يعتبر أن كلمة «ميترون» اليونانية متأبة من الفعل اليوناني (Μεδω) "MÉDHO" "ميدو" الذي يعني السيطرة والتسلط ويؤكد هذا القول على ما ورد في القاموس الفرنسي اليوناني الذي رادف الفعل اليوناني "ميدو" بالأفعال ذات اللسان الفرنسي "غوفرني" "Gouverner" و"رينيه سور" "Régner sur" والتي تعني في اللغة العربية «حكم، ساس، أدار، دبر» ومن الميترون يتأتى تعبير «ميتريزيه» "Maîtriser" أي السيطرة بالقوة والإخضاع¹ والذي يندرج من الأصل اليوناني "Maïtra" (Μετρα).

3 - القرائن الفكرية

القرينة الفكرية الأولى - السيطرة تظهر قووي

إن دراسة مفاهيم بروتاغوراس يجب أن تدرك وتفهم وتقارب ليس من خلال الأصول اللغوية والإيتيمولوجية وحسب وإنما انطلاقاً من سياقاتها الفكرية المرافقة والمواكبة لها، إن كلمة «ميترون» تعني السيطرة والتسلط لأن غالبية زعماء الحركة الفلسطانية قعدوا وأسسوا تفكيرهم النظري والعملي في المجالات السياسية، على فلسفة القوة وتظاهراتها المادية أو الفكرية² وقد

GHASSANG A. NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS, p. - 1

585

2 - عبد النور جبور، سهيل ادريس، النهل... المرجع المذكور، ص 491

3 - المرجع ذاته، ص 634

4 - UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1, P.124

أشرنا سابقاً إلى هذه الأبعاد. أما التظاهرات القروية الكلامية ، فقد استفاض غورجياس في معالجتها عبر مفهومية «اللوغوس الكلامي» الذي يمارس قوته وعنفه وسحره.

- القرينة الفكرية الثانية - الأصول المعنوية لكلمة الميترون تعني

السيطرة

لقد تكلمنا عن الأصول الالتيولوجية للميترون. أما الأصول المعنوية لهذه الكلمة والمحمولة عبر مقولات الفلاسفة والتراجيديا والميثولوجيا التي تأثرت بالفكر السفسطائي ، فتشير كلها إلى أن كلمة ميترون تعني «السيطرة» وبخاصة عند أحد أهم من اثر في الفكر السفسطائي وهو هيراقليطس¹.

4 - القرينة البيكولوجية ونزوع السفسطائيين الى السيطرة

يعتبر جون جاك شوفاليه في مؤلفه «تاريخ الفكر السياسي»، أن السفسطائيين هم في أكثريتهم غرباء أجانب يقيمون في أثينا. وهذا يعني ان هؤلاء ليسوا بمواطنين أثينيين لا يقدرّون أن يمارسوا مواظنتهم العضوية، والانخراط العضوي في المؤسسات السياسية الحاكمة. فليس بمقدورهم أن

1 - لقد ظهر معنى «ميترون» على انه السيطرة عند «سوفوكل»، و«بندرا» و«كزيفون» و«هيراقليطس»

2 - "Les Sophistes, ...étrangers pour la plupart à Athènes, ils tenaient la

Cité athénienne et ses institutions pour un fait acquis"

«لقد كان السفسطائيون، وهم في أكثرهم غرباء في أثينا، يعتبرون (البوليس) المدينة الأثينية ومؤسساتها كواقع مكسب»

CHEVALIER JEAN-JACQUES, HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE.

TI. P.30

يحكموا الشعب مباشرة. آثروا أن يحكموا الشعب بصورة غير مباشرة فيسيطروا على الحكام، والسياسيين بتعليمهم فنون السيطرة الكلامية، ومن خلال هؤلاء أمكنهم السيطرة على الشعب.

«الفسطانيون فتحوا مدارس للخطابة والبلاغة دعوها مدرسة الفلسفة الحقيقية وصوروا للشباب الأثرياء الطامعين إلى السلطة والثروة واللذة أن علمهم هو الطريق الوحيد إلى المراتب والسيطرة، فاندفع الشباب وراءهم اندفاعاً مستقيماً»¹.

إن عدم القدرة المباشرة، لبعض زعماء الحركة الفسطانية في وصولهم إلى مراتب السلطة، جعلتهم يحاولون السيطرة على الشعب من خلال طلابهم ومريديهم. فكان هاجسهم السيكولوجي يكمن في النزوع إلى السيطرة والتسلط. لذلك، أنتت تعبيراتهم وتعاليمهم محتوية في معانيها ومناهجها، النظرية والعملية، على مدلولات القوة والسيطرة، وبينها كلمة «الميترون».

5- في أن معنى المقياس ليس إلا مظهر من مظاهر السيطرة والتسلط لو سلمنا جدلاً أن «الميترون» أخذ بمعناه الحرفي على أنه «المقياس»، أي أن قول بروتاغوراس جاء على أن الإنسان هو مقياس كل شيء، وبهذا يعني، أن الإنسان في مفهوم الفسطاني بروتاغوراس يجب أن يقيس الأمور والقضايا والتجارب والأشياء والناس، انطلاقاً من مقياسه الخاصة، أي حسب قوانينه وقواعده ومعايره الذاتية. وهذه المعايير الذاتية ليست علمية ولا موضوعية. إنها هي أنانية ونفعية ومصلحية. هذا يعني أنها ترفض تقبل المعايير والمقاييس الأخرى. فلا تعترف إلا بذاتها وتنفي معيارية ومقياسية غيرها، تؤكد ذاتها وتعدم غيرها. ترفض وجوديتها وتنفي وجودية الآخرين. هذا يؤدي بنا إلى القول أن هذه المقياسية الفسطانية البروتاغوراسية، هي مقياسية طغيانية متسلطة، تسعى

1 - غيث جيروم، أفلاطون... المرجع المذكور، ص 20

إلى السيطرة. وبهذا الصدد يقول جون جاك شوفالييه: «إن الإنسان هو مقياس كل شيء»، هذا القول المنطلق من اللاتينية «أمر مون زورا» هو قول تأكيد، غالباً ما تم تأويله عن «الذاتية الكلية» التي يمكن بمقتضاها لكل فرد أن يصنع لنفسه قاعدته الخاصة، في الخير والشر، في السياسة كما في الأخلاق»¹.

اللوغوس الكلامي السفسطائي استمد في كثير من الأحيان مصدره وقوته من الميتولوجيا والأساطير، لقد آمن غورجياس بالميتولوجيا واعتبرها أكثر واقعية من الواقع المتلمس، بواسطة الروايات الميتولوجية، كان اللوغوس الكلامي السفسطائي يفرض سطوته وسيطرته على الشعب في البوليس اليونانية، تهويلاً أو اجتذاباً، لقد تشابه الفكر العربي بالفكر اليوناني، بهذه الناحية وخرج معنى «السيطرة» من معنى «الأسطورة»².

"L'homme mesure de toutes choses (dite, en latin, de l'homo - l mensura). Affirmation trop souvent interprétée comme celle d'un subjectivisme total, selon lequel chaque individu se ferait sa propre règle du bien et du mal, en politique comme en morale".

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*.
T I, P.30

ملاحظة: لقد اعتبرنا معنى: «MESURE» على أنه «مقياس» على سبيل الجدل والاستطراء ليس إلا، وقد بررنا اينمولوجياً كما سبق، على أن معنى MESURE يراد به السيادة والسيطرة.

2 - أ- الأسطورة مصطلح مأخوذ من اللسان اليوناني (ISTORIYA) (ιστορία)

انظر الأب نخله روفائيل البوعوي، هراتب اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط 5، 1986

ب- ويعني هذا المصطلح في اللسان الفرنسي والإنكليزي "History" "Histoire" أي ما معناه في اللسان العربي التاريخ، وهنالك ارتباط أصلاً بين الميتولوجيا والتاريخ. ويقول الدكتور وجيه كوثراني في هذا الصدد إن أسطورة حتى ولو اصطلاحاً اعتمادها كترجمة عربية للتعبير اللاتيني «Mythe» فإن الأسطورة بهذا المعنى، وعند معظم الانتولوجيين، ليست خالية من وقائع التاريخ وأخباره فهي تروي تاريخاً بطريقة رمزية ومن خلال الفكرة الجماعية.

راجع في هذا المعنى مقالة للدكتور كوثراني وجيه، أساطير وأسطارة وأسطورة وصلة التاريخ بالأسطورة...، جريدة الحياة الأحد 5 نيسان 2001 / ص 21

إننا نجد علاقة وصلية في المعنى والاشتقاق اللغوي بين "الأسطورة والسيطرة" فالأساطير هي الروايات غير الحقيقية وغير الواقعية التي لا وجود لها إلا في حيز الكلام والخطابات الملفوظة المكتوبة، يستخدمها الكلام لتضليل الناس وللسيطرة عليهم «الأساطير: الأباطيل»¹ ويقال «سيطر علينا، أتانا بالأساطير»² «ويقال سطر علينا، سطر، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل»³.

تحصل السيطرة على الشعوب من خلال استخدام وسائل قروية عديدة مادية كانت أم معنوية أم سيكولوجية، ومن أهم أنواع السيطرة على الرأي في عصرنا الحالي نجد "السيطرة الكلامية" الأكثر فعالية وتأثيراً بواسطة وسائل الإعلام والدعاية ووسائل الاتصال المتطورة.

فبعد أن بحثنا "التضليل الكلامي" وآليات السيطرة على الرأي عند بعض إعلام الحركة الفسطانية، سنتقل إلى بحث بعض أهم مظهرات التضليل الكلامي وآلياته في عصرنا الحاضر، مظهرين بعض جوانب التأثير الفسطاني فيها.

يُمارس التضليل الكلامي في سائر مجالات الحياة، إنما يستمر في القضايا السياسية، لأن السياسة الواقعية تقوم في أغلب الأحيان على التضليل بمظهراته كافة. قليلة هي السياسات المثالية الأخلاقية وكثيرة هي الممارسات السياسية البرغماتية القائمة على الانتفاع والمصلحة والانتهازية والتي تحقق ذاتها متوسلة التضليل.

فما هي طبيعة التضليل الكلامي؟ وما هي علاقته باللغة وبالدلالات الكلامية؟ وما هي مفاعيل الكلام؟ وما هي أهم طرق التضليل الكلامي المعاصرة التي يستخدمها التضليل السياسي^(*)؟ وكيف تحصل التطبيقات العملية له في الصراع السياسي؟ هذا ما سنعالجه في مبحث التضليل الكلامي المعاصر وطرقه؟

1 - لسان العرب المرجع المذكور، ص 363

2 - المرجع ذاته

3 - المرجع ذاته

(*) "السياسة لعبة لكلامات"، مقالة بن راشد أحمد، قوة الوصف، مجلة عالم الفكر، المجلد 23، يوليو،

2003، ص 214.

الفصل الثالث

التضليل الكلامي المعاصر وطرقه

الفصل الثالث

التضليل الكلامي المعاصر وطرقه

أولاً - ترسانة التضليل الكلامي

بدل معنى الترسانة، على المجاميع الهائلة من الأسلحة، كماً ونوعاً. والأسلحة هي أدوات للحرب. وترسانة التضليل الكلامي، إنها نعني بها أسلحة الحرب التي تركز إلى التضليل الكلامي. يصنف كلاوس الكذب على أنه سلاح كلامي تضليلي تكبيكي ويسمّه «تاكتيك الأكاذيب اليومية القصيرة الأجل حيث يدور الأمر حول الأكاذيب التي لها ظاهرياً جوهر حقيقي، وينلقاها المخاطبون لاعتقادهم بأنها تتضمن بذرة من الحقيقة، أو لشعورهم بصحتها، فإن جوبهت بالحقائق وافتضح أمرها كأكاذيب، نفيت بطريقة تلقي الذنب في الخبر الكاذب على مصدر المعلومات، شريطة أن يبقى برغم النفي أثر من الكذبة الأصلية في وعي من تلقوها...»⁽¹⁾

وكما أن هنالك مناورات عسكرية فأيضاً هناك مناورات التضليل الكلامية، خاصة عندما يكون للكلمة الواحدة ذاتها معانٍ متعددة ومترادفات

1 - أنظر في هذا المعنى، كلاوس جورج، لغة السياسة، ترجمة ميشال كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط 2،

دلالية وافرة، فيحصل التلاعب بالمدلولات والمعاني والأفكار، كالتلاعب بمعنى «الحرية» و«الديمقراطية»، و«العدالة»، يقدمها المضلل للناس على إنها قيم أخلاقية في ظاهرها، أما في حقيقتها الواقعية، فليست هي سوى قيم وهمية مضللة.

ويستعمل التضليل الكلامي أيضاً أسلحة هجومية، كالتحريض، الذي يستهدف البنيات الفكرية والسيكولوجية والمسلكية للجماهير، فيفرك من أجل ذلك منظومة ضخمة من الكلام، يضخها في أوساط الجماهير بوسائل الإعلام والدعاية كافة. فتغلغل في أعماق وعيهم، وترسخ فيه، وبذلك تتحقق عملية الإغصاف الفكري والمعنوي والسيكولوجي. وفي المحصلة يؤثر التضليل الكلامي في الناس المضللين، فيسلكون سلوكاً متناقضاً مع قناعاتهم ومصالحهم الحقيقية، ويتصرفون ضد مصالحهم الفعلية.

لا يمكن التعميم واعتبار اللغة وإشاراتها الكلامية أداة للتضليل السياسي وإلا وقعنا في خطأ منهجي، لأن الكلام بحد ذاته يُعتبر إشارة لغوية للتواصل والعلم والتطور والحداثة. فالكلام كالمناهج والعلم، يمكن استخدامه استخداماً صحيحاً، ويمكن أن يساء هذا الاستخدام، وبما إننا بصدد معالجة قضية التضليل الكلامي، كان لا بد من أن نمحور أنجماواتنا الفكرية، نحو طريقة الاستعمالات اللغوية وبخاصة الكلامية، ومناحي استخداماتها وتوظيفاتها في التضليل الكلامي. إن هذه الاستعمالات كوّنت «ترسانة التضليل اللغوي والكلامي»¹ التي لا يمكننا الإحاطة المطلقة بشموليتها، وضخامتها، لذلك نكتفي بعرض لبعض طرق التضليل الكلامي الأكثر استعمالاً في الخطاب السياسي.

1 - كلاوس جورج، لغة السياسة ... المصدر المذكور، ص 129

ثانياً - مفاعيل الكلام

إنّ الكلام هو أكثر أدوات التواصل والتعامل استعمالاً بين الناس. به نعبّر عن تفكيراتنا، لأن التفكير لا يمكن ان يتمظهر مادياً إلا بواسطة الإشارات الكلامية، والكلمة هي وسيلة اللغة السياسية، «والتي في المحصلة النهائية لها هدف واحد هو التأثير في سلوك البشر»^١. فبواسطة نوجّه سلوك الغير ونوجّه الغير بها سلوكنا.

نجد فلسفة اللوغوس الكلامي، وتأثيراته عند الحركة السفسطائية التي لا تزال مفاعيلها مستمرة الى اليوم. اللوغوس الكلامي هو لوغوس قوي، يمارس قوّته «السحرية» و«الإغوائية الإغرائية الاجتذائية» «العنفية والمتسلّطة» ويستخدم قوّة «التحريك»^٢ والتأثير «والتهويل والتخويف» والإقناع والتضليل، وممارسته القويّة تتوجّه نحو «الذوكسا» (الرأي) المشتت، الضعيف غير الواثق والمنقسم على نفسه، المتناقض. هكذا يفرض اللوغوس القوي إرغاماً نفسياً، وعقلاً على الذوكسا (الرأي)، ويخضعه، يتسلّط عليه، ويضلّله، فتكون المحصلة النهائية أنّ اللوغوس الكلامي هو الذي يقود الذوكسا، وبالتالي يقود الاخلاق، والتصرفات، والسيكولوجيات، والعقول والعقائد والإيديولوجيات. يمارس اللوغوس الكلامي سلطته بواسطة اللغة التي وصفها غورجياس بأنها متسلّطة كبيرة، بقوله «إن الكلام هو متسلّط كبير، إنّّه بواسطة جسم صغير وغير محسوس، ينجز الأعمال الأكثر قدسية، بحيث أنّ له القدرة على تسكين الخوف ونزع الألم

١ - كلاوس جورج، لغة السياسة... المصدر ذاته، ص 69.

• «عموماً، يتم الإعلان عن التغيرات السياسية الكبرى بتعبيرات لفظية. قد تبدأ ثورة بصياغة لفظية محرّضة... قد يعقب هذا، دعوة للتحريك، للثورة، للانفصال، للقتال». مقالة بن سعيد بن راشد أحمد، قوّة الوصف... مجلة علم الفكر،... المرجع المذكور، ص 220.

وتوليد الفرح، وتعظيم الشفقة...¹.

يتلاعب اللوغوس الكلامي «بالأميغالونس النفسي» أي ازدواجية
الشعور المتناقض الكامن في النفس، يثوره، يلجمه، يبيّجه، يفضبه، يفرحه،
يحزنه، يحرضه ويشوقه، بالطبع إنّ المفاعيل القوية للوغوس الكلامي، لا يمكن
أن تؤثر في كلّ الناس، بل بقسم كبير منهم، وهذا التأثير قد يقود إلى تضليلهم، فما
أبرز طرق التضليل الممارسة بواسطة الكلام؟

ثالثاً - متخبات من الطرق المعاصرة للتضليل الكلامي

1 - التضليل الإيجائي بواسطة الكلام²

أ - آلية التضليل بالإيجاء الكلامي

لقد استخدم الفسطاني غورجياس «الكلام الإيجائي» طريقة تضليلية
للسيطرة على النفوس والتلاعب بها. واعتبر أن المصدر الأول للإيجاء هو
اللوغوس الكلامي: «الكلمات توظف فينا الانطباعات، لدرجة أن إدراكنا يُثقل
أكثر بالمعارف والمشاعر والذكريات، فتحضر مساحة أكثر تهيئة للإيجاء»³.

Le langage est un grand potentiel, qui avec un corps minuscule et "imperceptible, accomplit les oeuvres les plus divines, car il a le pouvoir de calmer la peur, D'ôter le chagrin, de produire la joie, d'accroître la pitié".

DHERBEY-GILBERT ROMÉYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*, P.

41

• يمكن التعبير عن هذا العنوان بعنوان آخر هو «التلميح أبلغ من التصريح». انظر، مقالة بن سعيد
بن راشد أحمد، قوة الوصف... المرجع المذكور، ص 216.

2 - "Les mots éveillent en nous d'autant plus d'impressions que notre conscience est plus chargée de connaissances, de sentiments, de souvenirs, qu'elle offre un terrain mieux préparé à la suggestion"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, p. 282

يولد اللوغوس الكلامي عند غورجياس الإيحاءات، بواسطة المفاعيل القوية للمعاني، كالتحويل والتخويف، والمفاعيل الإغوائية كالاغراء والإجذاب. والطريقة الغورجiasية تتكرر يومياً عبر الخطابات السياسية، التي تهدف إلى التضليل باستخدام الكلمات التي تولد المعاني، المحدث للأيحاءات التي تستحضر في مخيلة المضللين التمثيلات¹ والصور. يشير غوستاف لوبون في كتابه «سيكولوجية الجماهير»، مدى تأثير الإيحاء الكلامي ومدى فعاليته في التأثير على مخيلة الجماهير، بهدف تضليلها والسيطرة عليها، لأن «هناك دوماً جانباً معيناً في المخاتلة في الإيحاء»² فهو يتحدث عن «مدى القوة والتأثير الخاص للكلمات والشعارات والعبارات المختارة بطريقة تثير صوراً إيحائية وحية جداً»³ يقول: «إذا لم تكن نمتلك الصور فإنه من الممكن أن تثيرها في مخيلة الجماهير عن طريق الاستخدام الذكي والصائب للكلمات والعبارات المناسبة. فإذا ما استخدمناها بشكل فني لبق فإنها تستطيع عندئذ أن تملك القوة السرية... فهي تثير في روح الجماهير العديدة أقوى أنواع الإعصار ولكنها تعرف أيضاً كيف تهدئها، ويمكننا أن نبني هرمًا... بواسطة عظام الضحايا فقط، أقصد ضحايا الجماهير التي هيبتها الكلمات والعبارات»⁴.

تدخل الصور والتمثيلات في الخفاء على مخيلة الجماهير، لأن «الإيحاء هو

1 - تمثل الشيء تصور مثاله، ومنه التمثل وهو حصول صورة الشيء في الذهن... تقول لمثل الشيء... أي تخيله تخيلاً حياً.

صليبا جيل، المعجم... المرجع المذكور، ج 1، ص 442.

2 - الإيحاءات تستحضر في الأذهان بواسطة الكلام والمعاني، التخيلات الحسية للفضاء التي يتناوذا الكلام. لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية... المرجع المذكور، ص 1377

3 - لوبون غوستاف، سيكولوجية الجماهير... المصدر المذكور، ص 188

4 - المصدر ذاته، ص 116

إشارة خفية¹ غير ظاهرة، ولأنه يستخدم «السرعة والمباغنة»². وهذه العوامل تؤدي إلى التأثير في المضلل فيفعل الفعل أو يقبل المعتقد تحت تأثير فكره دون أن يعي هذا التأثير، الإيحاء يوجه الموحى له ويتلاعب به. بواسطة الكلام الآتي من الخارج، يتغلغل الإيحاء إلى داخل الذات يقودها، وتحت تأثير الأفكار والصور والتمثيلات التي يولدها يصبح «الشخص بلا مقاومة»³ ويتأثر تأثيراً يجعله في حالة «الثقة العمياء إزاء الإيحاءات»⁴، هذه الأخيرة ترغم المضلل على قبولها حتى «وفي ظروف مضادة لمصلحته»⁵ «تنمو الصور والتمثيلات والأفكار نمواً كاملاً حتى تتحول إلى فعل»⁶ ويتم «التأثير على المشاعر والمسلكات»⁷. لكن التضليل بواسطة الإيحاء الكلامي لا يغال كل الناس وكل الجماهير، انها يغال الجماهير التي تمتلك قابلية الإيحاء. يقول لالاند: «في الواقع هنالك حالات مقاومة نسبية للإيحاء»⁸ ومن أهم نماذج التضليل بواسطة الإيحاء الكلامي. الإيحاءية التضليلية بواسطة الكلام القوي والإيحاءية التضليلية بواسطة الكلام الإغوائي.

• إيحاءية الكلام القوي المضللة

إنّ الكلام القوي وإيحاءية معانيه ومفاعيلها التضليلية، المستخدمة في الخطاب السياسي، كانت مدار تنظير وتطبيق في «البوليس» اليونانية، على يد الحركة

1 - صليبا جيل، للمعجم... المرجع المذكور، ج 1، ص 181

2 - المرجع ذاته

3 - موسوعة لالاند الفلسفة... المرجع المذكور، ص 1377

4 - أبوب فرنسوا، ترجمة الناموس الفلسفي... المرجع المذكور، ص 420

5 - موسوعة لالاند الفلسفة، ص 1377

6 - المرجع ذاته، ص 1374

7 - المرجع ذاته

8 - المرجع ذاته، ص 1377

السفسطائية، لقد اعتبر غورجياس¹ أن «اللوغوس الكلامي» هو بحد ذاته قوة «ديناميس»، وله مظهرات قووية، فتارةً يستخدم عبارات العنف والشدة وطوراً عبارات الإغواء والتشويق. وقد حذا حذو ايزوقراطوس «الخطيب ديموستين»² الذي اعتمد فيما بعد، «طريقة ايزوقراط الخطابية»، فكان يشحن جملة بالعصبية ويضخم فحواها، بعد أن يرصعها بالعبارات المناسبة، ثم ينقشها ليجعل وقعها على الأسماع مؤثراً وقوياً³. لقد استعمل ديموستين الكلام القوي «للسيطرة على الديموس الشعب»⁴ بآليات استخدام «المفاجأة والعنف الكلامي»⁵.

واللوغوس الكلامي القوي كان وما يزال أداة فعالة في الحرب النفسية الدائرة رحاها بين الدول، التي تستخدم في خطابها السياسي «التهويل الكلامي» الذي هو خطاب كلامي يستعمل كلاماً قوياً. إنه يولد معاني موحية لصور العنف وتمثلاته، لذلك دعي التهويل الكلامي، بأنه «عنف من دون عمل عنيف»⁶ وإحلال الكلام القوي التهويلي، «كصيغة جديدة للتعامل مع الحرب السياسية، التي طرحت نفسها كبديل للحرب الحقيقية»⁷ من منطلق «الفكرة القوة» «IDÉE FORCE»⁸. فالدعاية الفاشية كانت تستخدم العنف الكلامي في

1 - لقد تكلم غورجياس أيضاً عن العنف الممارس بواسطة «الصورة» «فبواسطة المشاهدة وعبر الرؤية والنظر تثير النفوس، بالصورة الشهيدة يمكن أن تثير الرعب والخوف في النفوس ويمكن أن تثير الحماس أو الإغواء. وقد تؤذي إلى التضييل. وقد سبق الإشارة إلى هذا الموضوع.

راجع بهذا المعنى أيضاً DHERBEY-GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*, P.45, 46

2 - خطيب لامع كان عدو ايزوقراطس، ولكنه استخدم منهجه في البلاغة والخطابة (322-374)

3 - سعد سام، في الدعاية السياسية تاريخ ومضمون، شركة فوراكس، بيروت، ط1، 1988، ص 53

4 - المرجع ذاته

5 - المرجع ذاته

6 - المرجع ذاته، ص 316

7 - المرجع ذاته

8 - المرجع ذاته

التسمية وفي الخطاب السياسي، يقول موسوليني: واصفاً أسطوله الجوي: «إن هدير طائراتنا سوف يحرس جميع الاشاعات، وستغطي أجنحتها سماء إيطاليا»¹. أما النازية فكانت تردّد المقولة التالية «هتلر هو القوّة الحقيقية الوحيدة، وبها إن الجميع مع هتلر، فإنه يتوجب عليّ أن اكون معه أيضاً إذا كنت ابغي السلامة»²، وتستخدم الإستراتيجية الأميركية «الكلام القوي» والتهديد بالقوة كسلاح مواز للقوّة المادية. إن الفكر العسكري الأميركي قدّم بواسطة هيئة أركان حرب القوات المسلحة، بعضاً من تعريفات للاستراتيجية معتبراً إياها «فن وعلم استخدام القوات المسلحة للدولة من أجل تحقيق الأهداف السياسية القومية عن طريق القوّة أو التهديد باستخدامها»³، والتهديد القوي يكون غالباً كلامياً وهو يدخل في فئة حديث القوّة POWER TALK التي تشمل التهديد والوعيد لا سيما في السياسة الدولية»⁴.

يستخدم الكلام القوي التعابير والمصطلحات التي تولّد معاني «القوّة» و«العنف» و«الإرهاب» و«التهديد» و«التحويل» و«التشهير» و«التهيج» و«التشويق». وهذه المعاني بدورها تخلق الإيماءات التي تستحضر التمثيلات والصور المؤذية أو المشوّقة، أو المحرّضة، لأنّ الكلام القوي يخلق التخويف حيناً أو الإثارة حيناً آخر، هذا الكلام يؤدي إلى الإنفعال، إنفعال الخوف والرعب، أو

1 - سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور، ص 209

2 - المرجع ذاته، ص 208

3 - الموسوعة العسكرية ... المرجع المذكور، ج 1، ص 66

4 - مقالة بن سعيد بن راشد أحمد، قوّة الوصف ... المرجع المذكور، ص 223

5 - يقول جورج كلاوس في كتابه «لغة السياسة»: «توجد مصفوفة كاملة من الكلمات المشوّقة من العواطف المناججة وانفعالاتها، من التعصب والجموح والغضب والقلق والتخويف والتهيج.

انظر في هذا المعنى، كلاوس جورج، لغة السياسة ... المصدر المذكور، ص 200

إلى انفعال الثورة والهيجان. تؤدّي حالات الانفعال بالمثل إلى توهم أمور كثيرة لا أساس لها من الصحة، فهو مستعدّ لأن يفتر الأحداث العادية تفسيرات خاطئة بناء على إملاءات الإيحاء والوهم، وهو مستعدّ أيضاً لأن يصدّق كلّ ما يقال له بكل ما يطل موضوع خوفه وقلقه، وإثارته. إنه مستعدّ للانسياق والانجرار للإيحاءات الكلامية المضلّة.

إنّ الكلام القروي التهويلي، الذي يُدخل الخوف والقلق إلى قلوب، ومخيلات الممثلين، يحوّلهم إلى أدوات ووسائل لمخططات سياسية. يقول كلاوس بهذا الصدد:

«يستخدم التضليل عن عمد، السيكولوجية الفردية والاجتماعية المتمحورة حول هذه الكلمات، لأن الخائفين يفتشون دوماً عن منقذ أو عن رجل قوي، أو حزب قوي يأخذ عنهم عبء المسؤوليات الملقاة عليهم، ولا ينصبّ الخوف والجزع في... التضليل... على أحداث مشخّصة دائماً، بل هما ينشran في حالات كثيرة لذاتها فيبقى مفعول التحريض ضاعطاً باستمرار على المتلقين. «الخوف من الأزمة»، «الخوف من الجريمة»، «الخوف على الوجود الخاص»، المخاوف تخدم بأنماطها المتنوعة،

● يستخدم التضليل الإيجائي القروي «حديث التأثير INFLUENCE TALK» لللاعب بالسيكولوجيا الفردية والاجتماعية عبر استخدامه عبارات ومصطلحات صغيرة، لكنّها تمثل قضايا كبيرة ذات أبعاد سياسية مثل «الإجهاض»، «الفقر»، «تهديد النسل». انظر في هذا المعنى، مقالة بن سعيد راشد أحمد، قوة الوصف... ص 223.

الأهداف المقررة للسياسة ولتحريضها،
الخوف من الأزمة يعني الموافقة على الخطط
الاقتصادية... والخوف من الجريمة يعني
الموافقة على السلطات الخاصة... والخوف
على الوجود الشخصي يعني العودة إلى أشكال
بدائية من الولاءات الغيبية، وفقدان القدرة على
التفكير النقدي...»

وليست فقط إباحية الكلام القوي تؤدي إلى التضليل، إنها أيضا إباحية
الكلام الإغواني.

ج- إباحية الكلام الإغواني المضللة.

إن الكلام المغري العذب، الجميل، الواعد، يسحر المضللين ويجتذب
شعورهم، ويولد عندهم الإباحية الإغوانية، هذا النوع من التضليل بالإغوانية
الكلامية تناولته الحركة السفطائية، فغورجياس بعد معلمه بروتاغوراس، يعتبر
أن اللوغوس الكلامي يمتلك طبيعة تضليلية من خلال قوله الذي كررناه والذي
نعاود إيراده في هذا السياق، بأن اللوغوس يتكون من سلطة إقناع وخداع إغواني
للعقل، وقد عبر عن معنى الخداع والإغواء بمصطلح «الاباتي» اليوناني والذي
نقله مترجم كتاب «السفطائيون» إلى اللسان الفرنسي عبر مصطلح «Leurre»
المرتب من معنيين مرتبطين ومتفاعلين، معنى الخداع المقترن بالإغواء، وتُطلق
عبارات الإغواء على النساء، لأنهن يستخدمن جاذبيتهن الجسدية كاستراتيجية

1 - كلاوس جورج، لغة السياسة... المصدر المذكور، ص 200

جنسية للإغواء والإغراء، وكفخ بهدف الإيقاع بالرجل واستعماله لأغراضهن وأهدافهن أكانت شريفة أم سيئة.

ويتقاطع مفهوم "الآباتي" مع ما أورده لسان العرب الذي جاء فيه أن "المفواة" المشتقة من الاغواء هي "حفرة عميقة تُحفر للذئب يوضع فيها جدي لكي يسقط الذئب اليه فيصاد"¹. إن المقاربات المعنوية لهذه المفاهيم، تقودنا إلى القول أن الكلام الإغوائي، مولد الإيحاءات التشويقية والترغيبية، يهدف إلى اجتذاب المضللين، ويوهمهم بالاستحصال على منافع ومكاسب، تحقق رغباتهم، ويشير فيهم التزوع التلقائي للاستجابة إلى مفاعيل الكلمات التي يطلقها الخطاب السياسي الداعي إلى الوعود والآمال. وأكثر من ذلك، فإن الكلام الإغوائي الاجتذابي يستجيب له الشعور إستجابة عاطفية، بغض النظر عن الوعود والآمال المقترنة به إنطلاقاً من «لذة السماع» ولذة الاستمتاع بالكلام الجميل العذب «إن عملية اللذة أكثر اغراء من اللذة ذاتها»².

ولا تسلك إيحاءية الكلام الإغوائي في استخدامها التفضيل، الطرق

1 - لسان العرب ... المرجع المذكور، ج 15، ص 142
هذه المعاني تطابق مع ما أورده قاموس كازميرسكي
تغوية:

Égarer, séduire, induire en erreur, faire tomber dans les erreurs
اغوية:

Ce qui trompe, ce qui égare et fait périr de là, fosse creusée pour prendre
les bêtes féroces

KAZIMIRSKI, *DICTIONNAIRE ARABE FRANÇAIS*, Librairie Du
Liban, Beyrouth, 1960. p.p. 519,520

غايي:

Séducteur, trompeur

2 - مقالة كتبها عثمان عفيف، ملحق النهار، السبت 16 تشرين الاول 1999 ص 4 تحت عنوان
«سلطة الفأوية»

المنطقية او المنهجيات العلمية، انها تستعمل منطق العواطف والمشاعر، والكلام الحافل بالوعود والمغريات. وقد ضلّل النازيون، أبناء الريف الألماني وأثروا فيهم، ودفعوهم إلى القتال، عندما حرّضوهم على ذلك، باطلاق شعارات كلامية، موحية بالإغواء والإغراء مقرونة بكلام الحميّة والحماسة، إستغلّوا فقرهم وعوزهم، أغروهم بامتلاك المزارع المجهّزة بالفلاحين واقتناء العبيد والخادّات، واقترن «الإيجاء الإغوائي» بالهدف الحقيقي للنازيين المتمثل بحث هؤلاء على القتال، لتجنيد اكبر عدد ممكن من المقاتلين، ولتحقيق الانتصارات العسكرية. وبهذا الصدد يعطينا كلاوس مثلاً حياً عن الإيجائية الكلامية الاغوائية الهادفة إلى التضليل، يقول: «لقد أثر النازيون في الفلاحين تأثيراً عظيماً، حين طرحوا شعار الإستيلاء على الشرق بالسيف والمحراث الذي بدا وكأنه سيعالج مشكلة الجوع للأرض في الريف الألماني... فقد تراءى لقسم من سكان الريف الفقراء جداً، أنّ امتلاك مزرعة في اوكرانيا، أو سواها، بها فيها من فلاحين، وخادّات، وعبيد من الشعب المحلي، هو حلم مغرٍ»¹.

2 - التضليل بالتسميم² الكلامي Intoxication وآليات المواجهة

أ- الأصول الفكرية للتضليل بالتسميم الكلامي

الكلمة تسمّم وتقتل وفعاليتها أقوى من فاعلية الأسلحة وأوّل من استخدم الكلام كسلاح فتاك هم السفطانيون. هذا السلاح الفكري إنطلق من قواعد ومبادئ نظرها وطبقها هؤلاء في «البوليس» اليونانية. إنطلق غورجياس

1 - كلاوس جورج، لغة السياسة ... المصدر المذكور، ص 143

2 - التسميم، قتل لحياة الانسان او التّجّيب بعرضها باستخدام السم، وتفعّل السموم، إما بتأثيرها الموضوعي او بتأثيرها في الأعضاء، بعد دخولها الدورة الدموية، أو بالطريقتين معاً، أي بتأثيرها موضوعياً في القناة افضمية، عندما تؤخذ عن طريق الفم، وفعلها على أثر ذلك بعد الامتصاص.

في تعقيد نظرية التضليل بالتسميم الكلامي من مبدأ الازدواجية والتناقض والاضداد والتي تأثرت بها الحركة الفسطائية من خلال هيراقليطس. وهذه تشكل أحد أهم المرتكزات التي انطلقت منها الفلسفة الفسطائية.

الفارماخون (Pharmakon) (Φαρμακον) لدى الفسطائي غورجياس يعني السم الذي يداوي¹، ويقتل في الوقت نفسه حسب استخدامته واستعماله. وقد ماثل الكلام بالسم. فالكلام يسم ويقتل وهو كذلك يداوي. يقول: «كما انه وبالفعل، ان بعض المخدرات تُخرج من الجسم بعض الأمزجة، وبعض المخدرات الأخرى تُخرج أمزجة أخرى، وإن بعضها تزيل المرض، وبعضها الآخر تلغي الحياة، هكذا هو الحال بالنسبة للخطابات ايضاً، فمنها ما يُجْزَن ومنها ما يُفرح وبعضها يُرعب، وبعضها يجلب الثقة إلى السامعين وبعضها الآخر يُسم ويحرر النفوس بواسطة الإقناعية السيئة»².

ب- التظاهرات العملية للتسميم الكلامي عبر الحرب النفسية

إن التضليل بالتسميم الكلامي الذي مارسته الحركة الفسطائية في

1 - ان المداواة بالكلام طريقة يستخدمها علم النفس لمعالجة المعايين بالأمراض النفسية.

2 - "Comme en effet certaines drogues expulsent du corps certaines humeurs, d'autres drogues d'autres humeurs, et que les unes suppriment la maladie, les autres la vie, ainsi en est-il des discours aussi: les uns affligent, les autres réjouissent, d'autres effraient et d'autres ramènent à la confiance les auditeurs, d'autres enfin empoisonnent et ensorcellent l'âme par une persuasion mauvaise»

GILBERT ROMEYR- DHERBEY- *QUE SAIS-JE? – LES SOPHISTES*, P.

البولس اليونانية لا يزال مستمراً الى اليوم عبر «الحروب الدعاية» بين الدول وبين الخصوم السياسيين. وهو نوع من التضييل الكلامي، يهدف إلى تدمير الخصم معنوياً ونفسياً وفكرياً وإدارياً، يستخدم في جميع الأمكنة والأزمنة بواسطة الدعاية الإعلامية. ومن الذين استخدموا التسميم الكلامي الفاتح المغولي (جنكيز خان) الذي لجأ إلى تسميم نفوس وعقول خصومه من أهل البلاد التي كان ينوي فتحها «حيث كان يشيع عن مقاتليه... أنهم أعداد كالجراد لا تُحصى، وانهم يأكلون كل شيء يجدونه في طريقهم... حتى الذئب والذئبة والكلاب»¹. ولقد استخدم هتلر أسلحة فكرية استهدفت تدمير العدو من الداخل والانتصار عليه². ومن ضمن هذه الأسلحة سلاح التضييل بالتسميم الكلامي. ومن أهم مفاعيل التسميم الكلامي، إثارة الرعب والخوف والتدمير النفسي والمعنوي وإثارة البلبلة الفكرية والقلق النفسي وهو من أخطر الأعراض، وأهم مظهراته قلق الانتظار. يقول ليدل هارت: «لا شيء يرهق الإنسان كالانتظار، يقلق وإذا ما قرّر الرجال شيئاً فاضلوا تحمّل الألم على انتظار وقوعه»³. والقلق هو حالة نفسية، تحدث عندما يشعر الفرد بوجود خطر يهدده، وهو ينطوي على توتر انفعالي يصحبه اضطرابات

1 - سعد بام، في الدعاية السياسية... المصدر المذكور، ص 440

2 - هارت ليدل، الاستراتيجية وتاريخها وفي العالم، ترجمة افيم الأبوي، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص 12

• «قام الألمان بالتمهيد لغاراتهم الجوية بإشاعة روح افزيمه والرعب عن طريق نشر القصص في نفوس ضحاياهم، واستمرت الشائعة تلو الشائعة ترؤجها محطات الإذاعة في بولندا وفرنسا والأراضي الراضية، وقد كانت هذه الحكايات تقص قصص الغزو المتظر كما كانت تحكي عن محادثات السلام الوشكة الوقوع. كان هدفهم هو إشاعة الارتباك والحيرة، وإضعاف الروح المعنوية، كما كانت هذه القصص تنشر الشك في إخلاص الحلفاء وقدرتهم على تقديم يد العون للبلاد التي تحتاج إليه».

أنظر، نصر صلاح، الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، الوطن العربي ط 2، 1988، ص 249

3 - الاستراتيجية... المصدر المذكور، ص 51

نفسية وفيزيولوجية مختلفة. ومن أعراضه النفسية، الضغط لشدة العجز، العزلة، الشعور بالعداوة أو الخوف وعدم الثقة بالنفس، وصعوبة تركيز الانتباه، وتدرج عوارضه الفيزيولوجية من ضيق التنفس حتى الإغماء.

لم يقتصر "التضليل الدعائي" الهتلري على تسميم^(*) أفكار الأعداء ونفوسهم فحسب ، إنما على تسميم جماهيره تسميماً تخديرياً ، بغية تهيئتهم وتضليلهم والسيطرة عليهم وتوجيههم واستعمالهم كأدوات تنفيذية لسياسته، ومن وسائل "التسميم التخديري" هذا ، "التسميم الكلامي" الأيل الى حث الجماهير على الإنشاد الصوتي الكلامي المرافق مع الموسيقى الحماسية ، وتكون هذه الأناشيد محضرة مسبقاً ، متلاعباً بدلالاتها الكلامية وبمعانيها ، تماماً كالأدوية المستحضرة ، بحيث انه يُحضر لكل حالة دواءها الخاص . إن امتزاج "الكلام" بالصوت " والموسيقى" له مفاعيل تسميمية تخديرية، تحيل الفرد الى ممارسة حركات يذوب معها خاضعاً للجموع المشاركة ، تصبح هذه الجموع "

(*) التسميم الدعائي والإعلامي هو سلاح سيكولوجي ، يغال المكونات السيكولوجية للناس ، يُخدرها ويُسممها ، ويصل الى حد تدميرها وقتلها معنوياً ، وهو تقنية من تقنيات التضليل الدعائي والإعلامي " التسميم هو تقنية والتضليل الإعلامي هو مذهب " .

• "L'intoxication est une technique. La désinformation est une doctrine •

• "التضليل الدعائي هو سلاح حرب" وهو عنوان كتاب فلاديمير فولكوف.

• Volkoff Vladimir, *les désinformations arme de guerre*, julliard/l'age d'home.

• أنظر في هذه المعاني "الغلاف" والصفحة 17 .

• يوصي باستعمال الحرب النفسية الفيلسوف الإستراتيجي الصيني "سون زي" "sun tsu" (500 ق.م.) ، ومن أهم وصاياه في الحرب السيكولوجية "تسميم الأعداء" بواسطة المعلومات المفشوشة الزائفة الملفقة .

• أنظر في هذا المعنى : سون زي ، فن الحرب ، تعريب وإعداد العبد الركن سمير الحادام والعبد الركن هونغ شاينغ، مؤسسة دار الريحان للطباعة والنشر، بيروت . 1998 ، صفحة 125 .

قوة واحدة " مُحدّدة ، جاهزة للتحرك سيكولوجياً وجسدياً " حسب مثبنة المضلل لا حسب مشيئتها . الدعاية المضللة بتمظهراتها كافة ، لا تكتفي بتسميم الجماهير فحسب ، بل تتعدى ذلك الى إغتهاها (١) ، وخاصة الدعاية السياسية فإنها سلاح فتاك يقتضي مواجهته وخاصة في عصرنا الحالي حيث تطورت وسائل الإتصال الدعائية والإعلامية ، وحيث ان الصراع الإعلامي الكوني هو في ذروته بين الدول والأمم والشعوب .



ان إجراءات (٢) المواجهة لمي كثيرة ، نذكر منها :

- خلق مجموعات من الباحثين وعلماء السيكولوجيا والاجتماع ومن الإعلاميين والجامعيين والمتخصصين ، وايضاً من علماء التكنولوجيا والاتصالات ، والفلاسفة والألسنيين ، وذلك من أجل دراسة " ظاهرات التسميم الإعلامي " ولا سيما السياسي منه ، وحصرها وتفكيكها ودراسة أبعادها وخلفياتها وقوة تأثيراتها وتردداتها .
- تثقيف الشعب وتركيز وعيه على مظاهر التسميم وعلى خصائصه المدروسة والمنهجية والمخطط لها .
- حث الجماهير على عدم الانصياع والانفعال لمفاعيلها ، وبالتالي

١ - انظر في هذا المعنى :

TCHAKHOTINE SERGE. *LE VIOL DES FOULES PAR LA " PROPAGANDE POLITIQUE "*. GALLIMARD, PARIS . 1976, P. 365.

٢ - عنوان مضمون كتاب سارج شاكونين " اغتصاب الجماهير بواسطة الدعاية السياسية " المنوه به أعلاه .

٣ - انظر في بعض هذه الإجراءات : *LES DÉSINFORMATIONS ARME DE GUERRE* 21

الى عدم الإستسلام والخضوع لها .

• حث الجماهير على الشك بمضامينها وبمصادرها والوسائل التي بثتها كما الشك بالعاملين فيها .

3 - التضييل بواسطة الاختلاق الكلامي

أ- مقارنة في مفهوم الاختلاق الكلامي

يقوم الاختلاق الكلامي على قاعدة ان الكلمة تخلق واقعاً عبر الخطاب الملفوظ أو المكتوب أو عبر الإشاعات، يتوَسَّل المضمِّل الكلام ليختلق واقعاً زائفاً لا وجود له، ولا تعيّن له في عالم المحسوسات لأن «الواقع ... ما هو موجود وهو بعكس ما هو غير موجود»¹. الاختلاق الكلامي يخلق الواقعة ويؤسّس لوجودها كلامياً، ويكون مغايراً ومتناقضاً للواقع المحسوس، ويولّد في ذهن المضمِّلين وقائع وهمية تزوّر في نفوسهم وعقولهم، فتوجههم وتلاعب بهم على أساس أنّها وقائع صحيحة، وهي ليست كذلك، وبالتالي فإن المضمِّل يمارس تضليلاً مزدوجاً. يقول غي دورندان: «لقد اعتدنا منذ طفولتنا العيش في عالم من الكلمات. ولل كلمات بالنسبة اليّنا، قيمة الواقع، فماذا يفعل الداعية؟ انه يقدم لنا هو ايضاً عالماً معيّناً مصنوعاً من الكلمات، ويراهن على عادتنا في الاعتقاد انه حيث توجد الكلمات هنالك وقائع تقابلها»². الكلمة يجب ان تصف الواقع، ان تفسره، ان تعكسه كما هو متعيّن بذاته، لا كما يراه الرأي، او ترتبه المصلحة او

1 - "Le réel,... ce qui est, par opposition à ce qui n'est pas"

DURANDIN GUY, *LES FONDEMENTS DU MENSonge*, FLAMARION PARIS, 1972. P.159

2 - دورندان غي، الدعاية والدعاية والسياسة، ترجمة رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص 28 - 29

كما تشهيه الميول. وللإختلاق بواسطة الكلام مظهرات عديدة في عالم السياسة، نذكر منها أهم نماذجها الحية.

ب- إختلاق الوقائع بواسطة الإشاعة والدعاية^(٥)

إنَّ الإشاعة تتلخّص بمجموعة من الخطابات الملفوظة أو المكتوبة التي تخلق بواسطة الكلام وقائع زائفة ليست موجودة في الواقع. ومن خصائصها «التناقض»^١ البينذاتي الذي يصيب مضمونها، و«الغموض»^٢ و«التخمينات»^٣ و«الخلط بين الخيال»^٤ و«جزء صغير من الحقائق»^٥. فهي قد تكون من نسج الخيال، وقد يكون بعضها لا أساس له مطلقاً^٦، وقد تعتمد على جزء من الحقيقة فيها لخلق كيائها وترويجها^٧. وتزحف الإشاعة عبر «الأقوال والأحاديث والروايات التي يتناولها الناس دون التأكد من صحتها، بل دون التأكد من صدقيتها»^٨، وتهدف إلى التضليل بالتشكيك والتأثير في نفوس المضللين، وإلى «بليلة أفكارهم»^٩. وقد تحمل بين طياتها كل «معاني الحقد والكراهية والتخريب»^٩. فالإختلاق الذي تنتجه

(٥) تظهر «الدعاية على أنها فن الإقناع».

انظر في هذا المعنى:

GOURÉVICH, JEN-PAUL, *LA PROPAGANDE DANS TOUS SES ÉTATS*,
Flamarion, France, 1981, p 110

١ - نصر صلاح، الحرب النفسية ... المصدر المذكور، ص 228

٢ - المصدر ذاته.

٣ - المصدر ذاته، ص 249

٤ - المصدر ذاته، ص 228

٥ - المصدر ذاته

٦ - المصدر ذاته

٧ - عبد القادر حاتم محمد الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، افية المصرية العامة للكتاب، مصر،

1993، ص 499.

٨ - المرجع ذاته، ص 497

٩ - الحرب النفسية ... المصدر المذكور، ص 228

الوقائع الزائفة ، يهدف إلى خلق قناعة جديدة لدى الرأي العام بهدف تضليله. واختلاق الوقائع الوهمية بواسطة الإشاعة ، يتجهج دوماً الطرق الكلامية ؛ فتسير الإشاعة معروفة بما نسميه «بالغم إلى الأذن»¹ أي ان الكلمة المضللة تهمس في أذن المضللين الذين يتناقلوها بالأسلوب نفسه، والذين يتفقدون عمليات الاختلاق بواسطة الإشاعة «يُسَمَّونَ بعملاء العمل السيكولوجي وهؤلاء يكونون عادة ممن هم على اتصال دائم مع اكبر عدد من الناس بحكم وظائفهم في المجتمع، والذين لهم رصيد معين من الثقة عند الجمهور، كالأطباء ورجال الدين والمعلمين واصحاب المقاهي والسائقين»².

والرأي العام يتأثر تأثراً شديداً بالاختلاقات المزيفة للوقائع، وتبقى هذه الاختلاقات في عقول المضللين ونفوسهم وعلى بساط البحث والتداول، وحتى بعد أن تنفيها شخصية رسمية، تمحوز على ثقة بمقدار كبير، ومثال ذلك ما حدث «بعد ضربة «بيرل هاربور»³ وما رافقتها من موجة انهزامية في الرأي العام، وقد استمرت هذه الإشاعة في التداول بنسبة 44% حتى بعد تدخل «روزفلت» شخصياً لنفيها»⁴. ويتأتى التضليل الاختلاقي للكلام بصورة التعمد، أو بوجه غير مقصود

1 - سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور ، ص 348

2 - المرجع ذاته

● ولمثل قضية بيرل هاربور شكلاً من اشكال النماذج العملية للتضليل الكلامي بواسطة الإشاعات في يناير وفبراير من عام 1942 غمرت امريكا شائعات مفزعة لم تتغير، وفحوى هذه الشائعات ان خسائر الأمريكيين في الهجوم الذي تعرضت له «بيرل هاربور» اعظم بكثير مما اعترفت به السلطات، فزعمت بعض الشائعات أن الأسطول الأمريكي للمحيط الهادي قد غرق في «بيرل هاربور» في يوم 7 ديسمبر، وزعمت شائعات اخرى ان 1000 طائرة دُمرت على الأرض في نفس اليوم.

انظر في هذا المعنى، حاتم عبد القادر محمد، الرأي العام ... المرجع المذكور، ص 502

3 - سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور ، ص 348

عبر الدعاية¹: بآليات الخطابة، الصحافة، وفي وسائل الاعلام المرئية أو المسموعة «وان عصرنا الذي عرف التجاح الساحق لدعاية قائمة على الكذب، ليَحْمَلَ في الوقت نفسه علامات فشلها الذريع، فالخطب الملتهبة والبلاغات الكاذبة، والأحاديث الشعرية، أدّت في النهاية إلى مضاعفة العطش إلى الواقع»².

لقد «اعتبر غوبلز³ ان الدعاية والحقيقة لا تتوافقان، فالحقيقة التاريخية ليست من شأننا بل من شأن عالم التاريخ، أما نحن فعلياً ان نحترم الضرورة التاريخية، والضرورة تقتضي بأن نتوصل إلى إقناع الرأي العام»⁴. ومن أهم مظهرات الدعاية التضليلية، المبالغة الكلامية في نقل الوقائع وتضخيمها، وتثبيت هذه الاختلاقات بأدلة وأرقام ولو كانت زائفة⁵ واختلاق عالم جديد

١ - كانت الدعاية أو الحرب النفسية في الماضي تعتمد على الكلمة الملفوظة وتلك المكتوبة، ثم أصبحت الآن تعتمد على الكلمة الملفوظة والمصورة. وبظهور وسائل الاعلام، أصبحت الدعاية أسرع انتشاراً وشمولاً وقوة، وأصبح لها جمهور مريض يصل إلى الناس في سائر أطراف المعمورة. إرتبطت الدعاية بالإقناع الفكري والسياسي وأصبحت أداة السياسة والأحزاب والمنظمات والشركات والدول، وسلاحاً فعالاً سائداً في السلم والحرب.
وبهذا المعنى أيضاً

أنظر، أبو عرقوب ابراهيم، معجم مصطلحات الحرب النفسية، الجامعة الاردنية، قسم علم الاجتماع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1992، ص 135-136

2 - حاتم عبد القادر محمد، الرأي العام ... المرجع المذكور، ص 456

3 - غوبلز جوزف، وزير الدعاية النازية ومن احداهم معاوني هتلر.

4 - سعد سام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور، ص 215

5 - استخدم غوبلز التضليل الدعائي، وركز على عنصر المبالغة في تضخيم الواقع عبر الكلام، «فقد ادعى أن لديه عشرة آلاف داعية، بينما كان عددهم في الحقيقة لا يتجاوز الثلاثة آلاف. أليس هو القائل، «إذا كانت فكرة المبالغة توصل بالضرورة إلى العظمة فلماذا لا استغلها؟». أنظر في هذا المعنى المرجع ذاته.

بواسطة الكلمات المضلّة¹.

ج- إختلاق الوقائع بواسطة الشعر² وأوجه البلاغة

○ إنتهاز الشعراء للبلاغة التي قد تؤدّي إلى

التضليل

قد يستخدم بعض الشعراء شعرهم لتضليل الناس، بدوافع وخلفيات سياسية لتحريضهم والتلاعب بهم عبر محاكاة شعورهم، وقد يكون التضليل الناتج من الشعر مرّد وقوع بعض الشعراء في الخطأ المنهجي، نتيجة لموسمهم، أو

1 - لتصور بلدين في حالة حرب «أ» و«ب»، لنفترض أن «أ» يريد جرّ بلد محايّد إلى الانضمام إليه لإعلان الحرب على «ب»! وتكون الطريقة المتبعة بسيطة للغاية. إذ يكون على الدعاية أن يخلق، بواسطة الكلمات، عالماً جديداً. سيطلق كلمة «فظاعات» وستشر تدريجياً الفكرة القائلة أن «ب» يرتكب «الفظاعات» ثم سيحدّد بدقّة أن «ب» يرتكب «الفظاعات» على الأطفال، أي أنه سيتمّ بعبارة أخرى إدخال كلمة جديدة: أطفال. كما سيحدّد أيضاً أن «ب» قد قتل حيوان أطفال. أي أنه سيتمّ إدخال كلمة أخرى: الميرون. وماذا سنعرف عن كل ما حدث في الواقع؟ لا شيء. ولكننا سنميل إلى تصديق كل ما ورد، كما سنميل إلى السخط. لماذا؟ لأننا اعتدنا، منذ طفولتنا، تصديق الكلمات، وعلى الاستجابة للكلمات. وهكذا، فإن الظروف التي نحيط بنا حين نكون خاضعين للدعاية السياسية لا تشكل إلا حالة خاصة من الطريقة التي نكتب تبعاً لها أكثرية معارفنا. حيناً بذلك إكتساب المعارف بواسطة اللغة، وليس انطلاقاً من تجربة فعلية في الواقع.

انظر في هذا المعنى، دورندان غي، الدعاية والدعاية السياسية. المصدر المذكور، ص 29.

2 - ● الشعر يمكن استخدامه إستخداماً صحيحاً، كما يمكن إساءة استخدامه، والشعر قد يؤدّي إلى الإبداع وإلى تأجيج الخيال العلمي وإلى الاختراعات العلمية، وقد يؤدّي أحياناً ما أسى، استعماله إلى الخداع والتضليل.

● وفي أغلب الأحيان فإنّ الشعر يعتره الغموض والإيهام، ومرّد ذلك إلى الطبيعة الفنية التي تحكمه والمادة اللغوية التي تشكّله والمنبع الشعوري الذي ينفّذه.

انظر في هذا المعنى، القعود محمد عبد الرحمن، الإيهام في شعر الحضارة عالم المعرفة، الكويت، عدد 279، 2002، ... المرجع المذكور، ص 7 و12 و14.

لعقدة نفسية كامنة فيهم، او نتيجة غرورهم وولعهم لإظهار مقدرتهم وبراعتهم، والشعراء ميالون إلى ارتكاب المغالطات، أي إيقاع الناس في الغلط من خلال الأوهام التي يحملها شعرهم، وهذه الأوهام الكلامية المضللة، نجمت عن سوء استخدام بعض الشعراء لما يسمى «البلاغة»، التي تحتوي في مكوناتها بعضاً من العناصر التي تفتقر إلى الدقة المنطقية والمنهجية، والتي تخضع لحرية الشاعر، وأهوائه وأحاسيسه وأهدافه. وبالتالي، فإن التعبيرات والجمل التي يطلقها بعض الشعراء يديرها منطق العواطف والشعور وليس منطق العقل. لذلك فإن استخدام العناصر البلاغية قد ينجح ببعض الشعراء إلى تضليل ذواتهم وتضليل غيرهم من الناس «فليس كل تشبيه جميلاً، ولا كل استعارة مستحبة، ولا كل كناية متساعة، وليس مجرد الإتيان بالصور البيانية والمعطيات البديعية، عملاً بليغاً، إنما البلاغة تكمن في حسن استعمال هذه الأمور ومنحها القدرة على توضيح المعاني»¹، فكثيرون يستعملون البلاغة للتضليل عندما يجزونها «إلى الزيف والضلal عن الغاية الأساسية»².

ونأخذ بعض الأمثلة عن العناصر المكونة للبلاغة، والتي قد تؤدي إلى التضليل كالتصوير البياني الذي هو كناية عن «إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ، يتباين في وضوح دلالتها العقلية على ذلك المعنى»³. إن إيراد المعنى بطرق مختلفة ومتباينة، يؤدي إلى التخييط العقلي لدى المستمعين أو القراء أو المشاهدين، ويتج من ذلك عدم الوضوح من حيث الدلالة العقلية، والواقعية. وكذلك الحال

1 - ابر حاتم احمد، المفيد في البلاغة والتحليل الأدبي، دار المنار للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.، ص

2 - المرجع ذاته، ص 12

3 - المرجع ذاته، ص 121

بالنسبة الى المجاز اللفظي الذي يقوم على استخدام اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة التشابه¹. ان استخدام التشبيهات، والمماثلات مثلاً بين الواقع والخيال هي آليات بلاغية كلامية تطابق المتناقضات والأضداد فيما بينها، فتعاكس بذلك قواعد العلم والمنهجية الصحيحة، والتي يرفضها علم المنطق، الذي وضع شروطاً وقيوداً دقيقة عقلية ومنهجية لإجراء اي مماثلات أو اي قياسات أو تشبيهات. أما الكناية فهو «كلام اريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وُضع له»² و«التورية هي الإتيان بلفظ له معنيان»³ وهي وجه من وجوه البلاغة قد يستخدمه التضليل بطريقة التمويه كما سوف نرى، و«المبالغة هي الذهاب في المعاني إلى حد متبعد أو مستحيل»⁴. وهذا ما يفيدنا أن المعاني في المبالغة لا تطابق الواقع، وقد تكون مستحيلة الوقوع ومستبعدة التحقق العيني والحصول الفعلي، انها قد تستخدم لاختلاق وقائع مموهة أو زائفة عبر الكلام، ولقد اشرنا إلى هذه الطريقة التضليلية التي كشف عنها ابن خلدون.

- نموذج عن التضليل الكلامي بواسطة الشعر

إن هذه العناصر المكونة للبلاغة بالإضافة إلى الأسباب التي ذكرناها قد تدفع بعض الشعراء بالوقوع في خطأ «هراء الشعراء»⁵ إنطلاقاً من قاعدة يستخدمها هذا البعض تبريراً لإختلافاتهم المفضلة «انها تجوز للشاعر ولا تجوز

1 - أبو حنيفة أحمد، المقيد في البلاغة.... المرجع المذكور، ص 149

2 - المرجع ذاته، ص 147

3 - المرجع ذاته، ص 156

4 - المرجع ذاته، ص 190

5 - ليس فقط الشعراء هم الذين يستخدمون البلاغة للتضليل عن معرفة أو عن جهل، انها هنالك لفيف من الأدباء والصحافيين ورجال الاعلام، والخطباء على وجه الخصوص.

لغيره¹. يقول ملحم قربان حول هذا النوع من التفضيل: «جوهر الخطأ هو أن تعتقد بأن الكلمة تخلق واقعاً... وأن تعتقد أن كلمتك تخلق واقعاً، هو أن تدعي الألوهية، وبعض شعرائنا هم سهم الفني أو غير الفني، توهموا ذلك، فيقول للشيء «كن فيكون» هو أن ترتكب خطيئة خطيرة، لنا أن نطلق عليها اسم هراء الشعراء².

1 - أبو حافة أحمد، المقيد في البلاغة... المرجع المذكور، ص 40

2 - قربان ملحم، المنهجية... المرجع المذكور، ص 78

ويعطينا مؤلف هذا الكتاب نموذجاً عن التفضيل الكلامي الذي يمارسه بعض الشعراء، ولو بصورة غير واعية ربما، كاشفاً آليات هذا التفضيل، مستنداً إلى حوار حصل مع أحد الشعراء اسمه عبد الوهاب البياتي، في إطار «مهرجان القاهرة الأول للإبداع العربي» الذي انعقد سنة 1984 وقد نقلت وقائع هذا الحوار مجلة النهار العربي والدولي في عددها الصادر بتاريخ 30 نيسان 1984 - العدد 365 ص 51. ونقل هذا النموذج حرفياً كما علّق عليه الدكتور ملحم قربان فهو يقول: «وينجلى ما اخترنا لنسبته «هراء الشعراء» في المقطع التالي للشاعر عبد الوهاب البياتي. وبأن هذا المقطع في رد الشاعر كالتالي:

«س - التفتيح الذي صاحب الانبهار في الدول العربية (تنظيماً وتوحيماً) رافقه أو سبقه تحول العديد من الشعراء العرب إلى شعراء نظام أو أبواق حاكم. كيف تصوّر الخلاص من هذا الانحطاط؟
«ردّي على هذا؟ بالإبداع وحده يمكن تحدي هذا الانبهار الشامل الذي نراه في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبالشعر وحده، لمجدياً، يمكن الخلاص، لأنه أقدر الفنون الأدبية على اختراق جدار المستحيل، بما يملكه من طاقة وقوة على الرؤية والرويا والاستبصار واكتشاف القوانين الجديدة التي تولد من تحت انقاض الواقع».

السؤال محدد وبسيط: «كيف تصوّر الخلاص من هذا الانحطاط؟»

وتفسيره الأبط يكون: كيف تصوّر الخلاص من هذا الانحطاط الشعري؟ الانحطاط في حفل الشعر.

والجواب عنه - الجواب الأبط يكون: «ردّي على هذا؟ بالإبداع...»

وإن كان هذا الجواب، وعلى هذا المستوى، أبط المطلوب، جواباً، واجتهاداً، فإنه يبقى ينطوي على شيء من العنصرية - العنصرية التي توظف كل من يدعي التوصل إلى تحقيقها في ما نسبته بهراء الشعراء - أي الادعاء بها يصعب تنفيذه بل بما يستحيل تنفيذه. فهل تحقيق الإبداع متوفر لكل من تطلبه وسمى إليه وسهر الليالي بغية تحقيقه؟ ويدعي البياتي أكثر من ذلك بكثير - «بالإبداع وحده يمكن تحدي هذا الانبهار الشامل الذي نراه في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية».

والتضليل الكلامي يتمظهر أيضاً ، عندما يُتلاعب "بالدلالات المعنوية للكلام" المتروضع في الخطاب الكلامي ، فيصبح المتلقي أمام خطاب متكوّن من مصطلحات ومعانٍ ومفاهيم والفاظ كلامية مُتلاعب فيها ، حسب مشيئة وتوجيهات قصدية المضلّ ، الذي يتلاعب بها وفق "قصديته الذاتية" وغايته النفعية ، وتلك الإيديولوجية ، لا وفق "القصدية الواقعية الموضوعية" ، الحاصلة على أرض الواقع حثياً وتلمسياً ، وهذا ما سنطلق عليه التضليل باستخدام التلاعبات الدلالية للكلام المزوّرة للواقع والمشوّمة له .

إذ "إن البشر لا يفكّرون ويعملون نتيجة للكلمات التي تنصب عليهم وتؤثر فيهم ، إنما بفعل معانيها ومدلولاتها" (1)

"إنه، وبكلمات واضحة وفاضحة، لا يعالج الانبياء الشعري وحسب بل وكذلك الانبياء الشامل، الذي نراه في البنى السبابة والاقتصادية والاجتماعية".

ويكتب هكذا مفهوم التعبير: «هنا مهنة الشعراء الحقيقيين، في قدرتهم على الصمود والتحدي، مواصلة الميرة»¹ وفوق معناه الذاتي الكثير المتطلبات، معنى موضوعياً- ذا المتطلبات الأكثر والأكثر صعوبة. ويشفع بهذا الضير للموضوعة المقصودة قوله: «وبالشعر وحده، نحدد ما يمكن الخلاص، لأنه أفقر الفنون الأدبية على اختراق جدار المنجبل...»².

إنه لفاعل الأعاجيب. ومن هنا فهو أشبه بالله بعيد الشبه! وإذا أطلقنا صفة «هراء الشعراء» على الادعاء- وهو ادعاء تفرّقت لنا البيانات على شيعه على الشعراء، وإن لم ينحصر بهم طبعاً- الادعاء بأن للكلمة قوة الخلق. يقول الشاعر للشيء كن فيكون. فإن من مضامين هذا الاعتقاد أن يتصور الشاعر - هكذا شاعر - نفسه إلهاً

قربان ملحم، المنهجية ... المرجع المذكور ، ص 81 و 82.

● وتقاطع الدراسة التحليلية التي انطلق منها ملحم قربان حول وصف شعر البياتي مع مقالة نقدية لنهاد الكبريتي وصف فيها قصيدة «الملجأ العشرون» للبياتي بأنها غامضة الصورة وغامضة الشاعر ولم يعد بالإمكان التعرف إليها.

أنظر في هذا المعنى ، الفعود محمد عبد الرحمن ، الإيهام في شعر الحداثة ... المرجع المذكور ، ص 11 .

1 - كلاوس جورج ، لغة السياسة ، ... المصدر المذكور ، ص 90 .

4 - التفليل بالتلاعبات الدلالية للكلام (manipulation) (Sémantique)

أ - السيمولوجيا أداة لكشف التفليل الدلالي للكلام
إن إحدى أنجع الأدوات والمنهجيات الحديثة لكشف التفليلات
السيمنطقية (الدلالية الكلامية) ، هي تلك التي تناولتها المباحث السيمولوجية
الخاصة بالإشارات الكلامية واللغوية والألسية، وإن علم الدلالة
(Sémantique) ليس سوى جزء من علم "السيمولوجيا" (Sémiologie)
أو (Semiology) ⁽¹⁾.

إن هذه التسمية "الإيتمولوجية" الاشتقاقية، تتأصل من اللسان اليوناني،
فكلمة (Sémeion) "ساميون" في اليونانية تعني الإشارة و (لوغوس) (logos)
تعني العلم، فتصبح كلمة "سيمولوجيا"، تعني علم الدلالات والإشارات ،
ونحن بصدد دراسة التفليل بواسطة الإشارات والدلالات الكلامية .
الكشف عن التفليل الدلالي "السيمنطقي" للكلام الذي نبهته ينطلق
من معيار واقعي ⁽²⁾، أي من علاقة المطابقة بين "الدال" (signifiant) الكلامي
بالمدلول (signifié) الواقعي .

فإذا كان "الدال الكلامي" مطابقاً "للمدلول الواقعي" المتلمس حسيّاً
وفعليّاً ، يكون الخطاب السياسي الكلامي صادقاً ، وإذا كان عكس ذلك ، تكون
الدلالة (signification) الكلامية في هذا الخطاب ، دلالة مضلّة ، "إن

1 - موسوعة لالاند الفلسفية... المرجع المذكور ص 1265 .

2 - إننا لسنا مع التأويل "أفروسي" اللانهاضي، الغامض، المتقلب، الذي لا يملك حدود، في شرح
المظاهر الواقعية والتجريبية، إنما مع الشرح الواقعي الموضوعي هذه المظاهر.

- هرمر، يرمز إلى المسخ الدائم، الكائن المتقلب، الغامض، فقد كان أباً لكل الفنون ورباً لكل
الاصوص في الوقت ذاته، ولقد كان أيضاً شيخاً وشاباً، في الوقت عينه.

انظر في هذا المعنى، أمبرنو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد،
المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، 2000 ص 28 و 29.

المقولة السياسية تكون حقيقة، فقط عندما يتطابق محتواها مع الوقائع الحاصلة بالفعل⁽¹⁾، وهذا يعني ان الحقيقة الواقعية تكمن في مطابقة الكلام للواقع "المطابقة بين الوقائع المحسوسة والعالم، وبين القول عنها والتفكير فيها"⁽²⁾ يقول الفيلسوف وليم جيمس³ : "إن الأفكار تصبح صحيحة أو حقيقية ، ان الأحداث تجعلها صحيحة ، إن صدقها يكون في الواقع حادثاً"⁽⁴⁾.

وعليه "فإن التفسير الصحيح للواقعة السياسية ، المتظاهرة في الخطاب السياسي، يجب أن تتطابق فيه التفكيرات المتجلية بالدلالات اللفظية والعبارات، مع الواقع الحاصل ، فعل الخطاب السياسي ان يفسر الوقائع تفسيراً موضوعياً، أي ان يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا ينظر إليها نظرة متحيزة أو ان يؤولها تأويلاً نفعياً من المنطلقات الذاتية"⁽⁵⁾.

ان تأويل الواقع السياسي المحسوس ، إنطلاقاً من الذات المنفعية أو الغرائزية أو الديهاغوجية أو الإيديولوجية أو السيكلوجية يؤذي غالباً الى شرح الوقائع السياسية عبر الخطاب السياسي ، شرحاً تضليلياً .

ان كل شرح أو تأويل للخطاب السياسي عادة ، وفي كثير من الأحيان ، يتأثر بالحياة السيكلوجية والاجتماعية والإيديولوجية والسياسية للمؤول عبر تأويلات وتفسيرات ودلالات يستخدمها، وهي تعكس شخصيته وتشبهها،

1 - كلاوس جورج ، لغة السياسة، ... المصدر المذكور ، ص 163 .

2 - أنظر بهذا المعنى ، مفتاح محمد ، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء و بيروت ، 1999 ، ص 106 . وقد استند بذلك الى : Encyclopédie philosophique Universelle. *LES NOTIONS*. Dictionnaire 2. P.U.F. 1990 , p.p. 2717,2724 .

● William James - 1842 - 1890) يعتبر من أهم الباحثين في ميدان الفلسفة البرهانية .

3 - وليم جيمس، البرهانية ، ترجمة محمد علي العريان دار النهضة العربية، بيروت، 1985 ، ص 237 .

4 - يونان كلود ، طرق التحليل السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) ، بيروت ، 2009 ص 163 .

وبهذا الصدد يقول أمبرتو إيكو "Umberto Eco" في كتابه العلامة "le signe": "ان كل تأليف يتج عنه علامة تغطي المعيش النفسي، والاجتماعي أو السلوك العملي، أي ما يسميه بيرس* في كتاباته، "في العادة التي تؤوّل وفقها الوقائع، فنحن تؤوّل وفق غايات نفعية" (1).

هذا في العادة، حيث يلعب "اللاوعي" المتأثر بالموروثات الثقافية والاجتماعية والفكرية والسيكولوجية والسياسية والدينية والسلوكية دوراً مهماً في التأثير على شرح الوقائع وتأويلاتها، فكيف هو الحال بالنسبة "للخطاب السياسي" الذي من المفترض ان يعكس الواقع الموضوعي، حيث يتم بناؤه التفضيلي على "تركيبات كلامية" وتأويلات دلالية مضلّة "و"تسخيرات لغوية"، بواسطة التلاعبات اللفظية، واللفغوية وتلك المعنوية، وبواسطة اختلاق المفردات الاصطلاحية وعلى صوغ المفاهيم المزوّرة والتلاعب بالدلالات والمعاني. وذلك انطلاقاً من عمليات التخطيط المسبقة، التي تدرس الخلفيات والأبعاد والأهداف والآليات والتأثيرات "ان هدف السياسة الأساسي ليس إكتساب مقولات صحيحة حول وقائع سياسية، بل دفع البشر الى أنماط سلوكية معينة، لتحقيق مصالح معينة" (2).

ب - التفضيل بالتلاعبات الدلالية للكلام، سلاح صراعي خطر
ان التفضيل الدلالي "السيمنطقي" بالكلام، يتمظهر في عصرنا الحاضر

* بيرس تشارلز ساندروز، (1839 - 1914) (Pierce Charles Sanders) فيلسوف اميركي، من مؤسسي السيمبائية الاميركية ومن أهم أعمدة الفلسفة البرغماتية.

1 - أمبرتو إيكو، العلامة، تحليل للمفهوم التاريخي، ترجمة سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء و بيروت، 2007 ص 18.

المؤلف هو من مواليد (1932) سيمباني معاصر، وروائي ايطالي.

2 - كلاوس جورج، لغة السياسة... المصدر المذكور ص 163.

بتجليات وأساليب وآليات متنوعة ومتطورة ، مواكبة للحدثة والعصرنة ، عبر شبكات الإنترنت التي باتت مرتعاً للصراعات والحروب والتي نذكر منها مثلاً لا حصراً : الدينية والعقائدية والسيكولوجية والإيديولوجية والسياسية والمخابراتية والدعائية والإعلامية والتجارية والمالية والاقتصادية، تركز هذه الصراعات الى شتى أنواع طرق التضليل وآلياته ، منها ما هو عقلي ومنها ما هو كلامي أكان لفظياً أو خطياً أو مسموعاً ، ومنها ما هو سيكولوجي ومنها ما هو مشهدي ، وتتعامل الدعاية القويوة (التي تستعمل القوة) وسيلة فتاة تسمى "التضليل الإعلامي" ويقوم هذا التضليل، عبر الدعاية الاعلامية، على بث المعلومات والأخبار الكاذبة أو الموهمة مستخدماً إما الأساليب المنطقية كالتحليل والتركيب ، وإما الأساليب العاطفية ، كالتحريض والتشوير⁽¹⁾ أو الشهير والتحقير والإفراء ، وهذه الوسائل تركز الى "الصورة" و "الكلمة" ، والخطورة في التضليل الكلامي تكمن ، في استخدام هذا التضليل ، التلاعب بالدلالات⁽²⁾ المعنوية والواقعية للكلام في تشويه معاني الدلالات التي تعكس الواقع . فتصبح "الدلالات الكلامية" المضللة أسلحة صراعية فتاة ، فهناك مثلاً لا حصراً ، الدلالات المخادعة والدلالات الموهمة والغامضة والمغشوشة والمُلتبسة والكاذبة والمُداورة والمُشكِكة والمُدلّسة والمُشوّهة، وايضاً الدلالات المجافية للحقيقة المنطقية الواقعية.⁽³⁾

1 - أنظر في هذا المعنى ، يرنان كلود ، طرق التضليل السياسي ، ... المرجع المذكور ص 11 .
 2 - La perversion sémantique . الافساد الدلالي ، التشويه الدلالي ، التحريف . أنظر في هذا المعنى : ABOU Sélim, *l'indentité culturelle. Relation Interethniques et problèmes d'acculturation*, Paris, Anthropos, 3ème édition . Hachette 1995 .. P.P. 149 - 150

3 - ياتل بيرس بين الدرامات السيميائية والعلوم المنطقية . أنظر في هذا المعنى : Charles Sanders Peirce, *Collected of Charles Sanders Peirce*, 8 vols. (Cambridge: Harvard University Press, (1958 - 1931) Paragraph 2.227..

ج - نموذج عن التضليل باستخدام التلاعب بالدلالات الكلامية
غالباً ما تلجأ الخطابات السياسية الإيديولوجية ، الى استخدام مثل هذه
التلاعبات الدلالية ، لترسيخ كلماتها وإشاراتها^(١) ، في أذهان الشعب وغيلاتهم ،
وفي تبرير أفعالها ، بصياغات كلامية دلالية مُضَلَّلة محاولة فرض رؤيتها لا إنطلاقاً
من الواقع الموضوعي ، إنما إنطلاقاً من أهدافها السياسية المنفعية والمصلحية
الملائمة لأبعادها التكتيكية أو تلك الإستراتيجية.

فإذا اخذنا الخطاب الإيديولوجي القائل "بفرض السلام" ويدلّل عنه
سيمبولوجياً "بالدال الكلامي" وذلك للدلالة والإشارة الى "المدلول الواقعي"
الذي يعبر عن الوقائع والأحداث والظواهر الحاصلة على أرض الحقيقة الواقعية ،
والمتمظهرة "بوجود هجوم مسلّح ، وما يصحبه من احتلال" ، فإن العلاقة
"الدلالية" بين "الدال الكلامي" و "المدلول الواقعي" هي علاقة "مضلّلة" . وذلك
لأسباب المنطقية والواقعية والمعنوية الآتية :

- للعلاقات التناقضية والمتضادة البيّناتية القائمة داخل "المدلول
الكلامي ذاته" .

إذا قاربنا "المدلول الواقعي" لمعنى "الدال الكلامي" لمفهوم "الفرض" ،

- في المفهوم "البرسي" بنحيل التميز بين الحقيقة والواقع ، فهما اسمان لشيء واحد بعينه ، أنظر في المعنى :
حامد خليل ، المنطق البراهمي عند تشارلز بيرس مؤسس البرهانية ، دار البنايع ، دمشق 1996 ، ص 266 .
ويعرف بيرس أيضاً المنطق على أنه العلم الذي يبحث في طبيعة الحقيقة ومعناها ، ويسمى الى وضع أفضل
الطرق لإكتشافها ، أنظر في هذا المعنى : المرجع ذاته ، ص 44 .

١ - ان السيمبلية أو السيمبولوجية حسب أمبرتو إيكو تعنى بكل الموضوعات التي تتناول الإشارات من
كلمات ، وصور ، وأصوات .

أنظر في هذا المعنى : Umberto Eco, *A Theory of Semiotics, Advances in Semiotics* :
(Bloomington. Indiana University Press, 1967) , p. 7 .

فإن تظاهراته الواقعية تتخذ لها دلالات ملموسة، تتمثل بالإكراه والقهر والإرغام والإجبار باستخدام القوة، والقسر، إن هذه التظاهرات القوية تتناقض مع الرغبة الحقيقية والاختيار الصحيح والإرادة الحرة .

كما أن "المدلول الواقعي" لمعنى "الدال الكلامي" لمفهوم "السلام" يتمظهر بالعدالة والتوازن بين الحقوق والواجبات ، والتأكيد على قيمة الإنسان وكرامته ، وإنهاء طاقاته ومواجهه والمحافظة على حياته ، وصونها من كل ما يحط من قيمتها ، ومن كل ما يناقضها كالقتل والتعذيب الجسدي والمعنوي والضغط النفسي والسجن دون مبرر ، والاستعباد والتهجير والإقتلاع البشري من الأرض التي يمتلكها أو يعيش فيها . السلام الحقيقي ينطلق من احترام حرية الإنسان .

وتأسياً على ما تقدم ، فإن السلام لا يفرض ، ولا يُبنى على القوة وتظاهراتها . ولا على تكديس الأسلحة ، ولا على التسلط ، ولا على المظالم ، ولا على الحروب .

- للعلاقات التناقضية والمتضادة القائمة بين "الدال الكلامي" "السلام" ، و "المدلول الواقعي" المتمظهر "بالوجود المسلح، وما يصحبه من احتلال" .

إن الوجود المسلح والاحتلال ، هي وقائع حربية ، فالحرب يستخدم العنف المسلح والقوة وإجبار الخصوم بواسطة هذه الوسائل القوية للخضوع لإرادة مستخدم القوة الحربية .

إن مفاعيل الحرب تكمن في توليد الدمار والخراب ، على المستويات الاقتصادية والمادية والمعنوية ، كما في توليد العداوات والأحقاد .

يقول الفيلسوف كانط : "إن الحرب من شأنها أن تقود إلى التدمير ...

ومعها تدمير كل أنواع الحقوق ، لا تبقي ، اذا ما حصلت ، مجالاً للسلام الدائم اللهم إلا في رحاب مقبرة الجنس البشري⁽¹⁾ .

ان هذه العلاقات الدلالية المتناقضة والمتضادة ، ليست سوى تلاعبات مضلّة يركن إليها الخطاب الإيديولوجي .

- ما هي الدلالات الكلامية المضلّة المستقراة من هذا الخطاب ؟ ، وهي مثلاً لا حصراً .

* الدلالة الخداعية

ان الخداع هو إظهار شيء بخلاف ما هو خفي ؛ أي إخفاء أمر واقعة عن طريق إظهار واقعة أخرى ، وهو طريقة تضليلية يجري عبرها التلوي بالإنحاء عبر المظاهر المتعارضة مع الحقيقة والواقع ، تعارض الظاهر مع الخفي ، وتعارض المنظور مع المستور ، والتعارض في المنطق ، يتضمن التضاد والتناقض⁽²⁾ . في هذا الخطاب الإيديولوجي المضلل ، نلاحظ من جهة أولى ، أن التناقض والتضاد حاصلان ضمن المدلول الكلامي ذاته ، "فرض" "السلام" . أي في "العلاقة البيّناتية" بين المفهومين ، ومن جهة ثانية نلاحظ أن التناقض والتضاد حاصلان بين المدلول الكلامي "السلام" والمدلول الواقعي " وجود هجوم مسلّح وما يصحبه من احتلال" أي الأعمال الحربية .

1 - كانط هانويل ، نحو السلام الدائم ، محاولة فلسفية ، ترجمه وقدم له نبيل الحوري ، دار صادر ، بيروت .

1985 ، ص 36

2 - أنظر في هذا المعنى ، يونان كلود طرق التحليل السياسي ... المرجع المذكور ، ص 131 .

إن علاقات التناقض والتضاد والتعارض هي أدلة منطقية وواقعية ومعنوية ، تثبت "الدلالة الخداعة" لهذا الخطاب الإيديولوجي .

* الدلالة التمويهية

إن التمويه هو تليس ، الذي هو تغطية شيء بشيء آخر ، بحيث يحصل إخفاء الحالة الحقيقية⁽¹⁾

الكلمة الثانية من الدال الكلامي "السلام" حلت في الخطاب السياسي محل حالة أخرى ، الحالة الواقعية والحقيقية المتمثلة "بالمدلول الواقعي" المتظاهر واقعياً "بالوجود المسلح والإحتلال" "السلام" كشف عن نفسه على أنه الحالة الحقيقية والواقعية ، وعليه يكون "الدال الكلامي" "السلام" المتناقض مع "المدلول الواقعي" قد غلّف الحالة الواقعية ، وأخفاها ، وحجبها ، وسرّها ، وقنعها ، وبعبارة أخرى الدلالة التمويهية هنا تكمن بأن "حالات الحرب الواقعية" تموّعت بدلالة لفظية متناقضة مع جوهرها ، تظهّرت بكلمة "السلام" ، فجوهر "السلام" متناقض ومتضاد مع جوهر الحرب والسلام ينفي الحرب ، فإذا حلّ السلام انتفى الحرب والعكس هو الصحيح . وإذا حلّ الحرب انتفى السلام .

* دلالة الخلط التلفيقي المؤدية الى الإلتباس

يهدف الخلط التلفيقي التضليلي ، الى الجمع بين قضيتين متناقضتين ، فما يثبت بحق الأولى ، يتنفي بحق الثانية ، لأن التناقض علاقة قائمة بين حدين يكون أحدهما نقياً للآخر ، والعكس بالعكس ، والعلاقة بين القضيتين المتناقضتين ليست علاقة ربط منطقية ، إنما علاقة عشوائية والخلط التلفيقي يعني أيضاً المزج

1 - انظر في هذا المعنى ، برنان كلود طرق التحليل السياسي . المرجع المذكور ص 146

بين عناصر متعارضة^(١)

ان التضليل الدلالي بواسطة الخلط التلفيقي يظهر هنا في المكونات البينذاتية "للدال الكلامي" ، لقد خلط هذا الدال الكلامي المتمثل بمقولة "فرض السلام" ، بين مفهوم "الفرض" الذي يستخدم القوة والإكراه والإجبار، كما أسلفنا القول، ومفهوم "السلام" وتظاهراته التي أسلفنا ذكرها ، المجاني والمتناقض والمتضاد والمتعارض مع المفهوم الأول ، يؤدي هذا الخلط التلفيقي بين عناصر "الدال الكلامي" الى الإلتباس ، فيختلط في ذهن المتلقي الضد مع ضده، والنقيض مع نقيضه ، والخطأ مع الصواب ، والحق مع الباطل ، والعقلاني مع اللا عقلاني ، فيقع العقل في حالة من صعوبة التمييز أو استحالة ، نتيجة الخلط التلفيقي وهذا يؤدي الى الإلتباس الدلالي ، وبالتالي الى التضليل الكلامي .

١ - انظر في هذا المعنى ، برنان كلود ، طرق التضليل السياسي ... المرجع المذكور ص 101 .

خاتمة

لقد أسهمت من خلال هذا الكتاب ، بتلبيط الأضواء على تراث فكري مهم ، من حيث النظرية والممارسة ، عنت به « الفكر السفطاني » ، الذي لا يمكن لأي دارس أو باحث أو ممارس في مجالات السياسة والفلسفة والدعاية والسيكولوجيا، والإعلام والاستراتيجية والديبلوماسية ، إلا المرور والغوص فيه، لأنه يكتز في بطونه التجربة العميقة للممارسة السياسية والدعائية في (البوليس) اليونانية ، حيث تولد معنى السياسة ، « البوليتيكوس » نظيراً وتطبيقاً نتيجة الصراعات الفكرية والعملية بين زعماء الحركة السفطانية . والحركة السقراطية الافلاطونية الأرسطية. هذا الصراع الذي ما زال قائماً حتى يومنا هذا بين المثالية والبراغماتية.

ويمكنني القول بكل ثقة ويقين ، بأن كل مؤسسة في المجتمع أكانت سياسية أم مدنية ، تتخذ من « الكلام » و « الرأي » مواضيع وأهدافاً لها . إن لم تدرس وتعمق « بفلسفة اللوغوس الكلامي » وعلاقته « بالرأي » وخاصة عند أعلام الحركة السفطانية ، ستبقى بهذا الصدد ، ناقصة في التجربة والمعرفة . يبقى القول ، إنني لا أدعي لنفسي من خلال هذا الكتاب ، بأنني عاجلت كافة طرق التضييل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي بل حاولت، ذلك لأن الأفق في هذا المجال واسع ومنفتح ومتطور، فهناك طرق أخرى مهمة في التضييل الكلامي نذكر منها مثلاً لا حصراً :

- الديماغوجيا ، وهي طريقة تضليلية كلامية هدفها تضليل الشعب بواسطة الكلام ، وقيادته بصورة مخادعة الى حيث لا تريد مشيئة ، بل حسبها تريد إرادة الديماغوجي المضلل. وهي تستعمل آليات التعلق والتسويق والتكيف مع الآراء والعقائد بهدف السيطرة والتسلط والمنفعة .

ويستعمل التضليل الكلامي ايضاً ، المناهج المنطقية المزيفة الشديدة الخطورة، باستخدام الجمل والعبارات والمقدمات الكلامية، التي تبدو في ظاهرها إنعكاساً للحقيقة والواقع ، أما في نتائجها فهي مزيفة ومضللة، ذلك أن التضليل السياسي يوظف آليات العلوم المنطقية، بذلك يشمل الطبقات المثقفة والمفكرة وتلك غير المتعلمة وغير المثقفة، فالجماهير لا يهمها التدقيق في البيانات المنهجية والمنطقية للخطاب السياسي، إنما يهمها "الوجبات الكلامية الجاهزة" المُنمعة والمُشوّقة التي تدغدغ شعورها وعواطفها وغرائزها.

ويركن التضليل الكلامي ايضاً بواسطة الكلام الى تقنيات التلقيم والتوفيق والتعقيد لإثارة الالتباس والغموض، مبتغياً تضيق وتخيير الجماهير، كإطلاق مقولات كلامية غامضة .

ومن أهم طرق التضليل الكلامي «الكذب» حيث لا تطابق بين الفكر واللسان وبين اللسان والفعل وبين الكلمة والواقع .

وأيضاً التمويه الكلامي الذي يتغني إخفاء الحقائق والوقائع بواسطة السناثر والأقنعة الكلامية ، ونذكر في هذا الصدد : التمويه الإيديولوجي الذي يتهمز الكلام للسيطرة على الوعي الفردي والجماعي . كما نذكر ايضاً طريقة التشويه الكلامي التي تطال الوقائع والأشخاص وغالباً ما تستخدمها بعض وسائل الاعلام والدعاية وتقنيات التعمية والتعتيم.

ملاحظة: إن هذه الطرق التضليلية تمت معالجتها في كتابنا، طرق التضليل السياسي..... المرجع المذكور

ويركن "التضليل الكلامي" أيضاً في العمليات التجارية إلى "الإشاعات التجارية"^(٥) المتكوّنة من "الكلمات الشفوية" كطريقة تضليلية صراعية تنافسية بين الشركات التجارية، "فبرغم تكاثر الوسائل الإعلامية، لا تزال العامة، تستقي الكثير من معلوماتها من المحادثات الشفوية، بل أن جلّ ما فعلته الوسائل الإعلامية الأولى، بعيداً عن إخماد الشائعات، كان جعلها أكثر تخصصاً، بحيث باتت كل وسيلة تنشر الشائعات في مجال محدد وخاص بها"^(٦).

وهناك أيضاً "التضليل الكلامي" المستخدم في "العمليات التجارية" بهدف الترويج الإعلامي والدعائي، بغية تحصيل الأرباح. من إحدى تجلياته

(٥) ان الإشاعات لا يقتصر استخدامها في الصراع البشري فحسب، إنما في مجالات الصراع التجاري والاقتصادي، وأيضاً في حلل الصراعات بين الفئات، وفي بناء النجومة والنهرة، وفي مجالات الصراعات المالية والبورصة، وحتى داخل المصانع والمكاتب، قد تتحوّل الإشاعات من طريقة صراعية تنافسية بين الشركات، إلى أسلحة إعتدالية تدميرية تهدف من خلالها كل شركة إلى تدمير الشركات الأخرى المنافسة، ونذكر مثلاً لا حصراً بعضاً من هذه الشائعات الإعتدالية:

• منذ العام 1981، تتلقّى شركة بروكتر أند غامبل Procter and Gamble، التي هي إحدى أبرز الشركات الأميركية المنتجة للسلع الاستهلاكية الأساسية، آلاف الاتصالات لغتافية في الشهر الواحد من مستهلكين قلقين، للاستفسار عن مدى صحة شائعة تقول إن للشركة المعبّنة علاقة بالشيطان. وبحسب هذه الشائعة، يخفي شعار الشركة المتمثل بوجه إنسان يحدّق إلى النجوم، لا عدّها ولا حصر، مجموعة من الرموز الشيطانية. فإذا حدّق الناظر إلى الشعار ملياً فيكتشف أن النجوم ترسم بطريقة انتظامها العدد الشيطاني الشهير 666. ويبدو أن هذا الرسم جاء ليدعم ما وُجّه له الشائعة ومفاده أن شركة بروكتر أند غامبل تحالفت مع الشيطان من أجل مضاعفة حجم أرباحها وتخصّصت ما نسبته 10 في المئة من أرباحها لإحدى الملل التي تعبّد للشيطان.

• وفي آخر العام 1966، منّت الشائعة أحد التجار الشهيرة للملابس الجاهزة في مدينة روان Rouen شمال فرنسا، بأنه غطاء للتجارة بالرقيق الأبيض. وعلى الأثر، كثرت التهديدات لغتافية، فاضطرت مدبرة المتجر التي فشل نفيها للشائعة في إلحاحها، إلى الاستسلام والرحيل، أنظر: كافيرير جان - نويل، الشائعات، ترجمة ناتيا ناجيا، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2007، صفحة 9 و 10.

• 1 - المرجع ذاته.

ما سَمَّاهُ "فانس باكارد"

"VANCE PACKARD" "THE HIDDEN PERSUADERS"

وهو عنوان كتابه المترجم الى الفرنسية ويحمل تسمية: "La Persuasion Clandistine"،^(١) أي "الإقناع الخفي" الخبيث حيث يتوجه فيه "التضليل الكلامي" ليطال المناحي السيكولوجية الواعية وغير الواعية للإنسان، الذي يطلق عليه في عالم التجارة "الزبون".

تُرصَد لعمليات "الإقناع الخفي" التجارية، أموالاً ضخمة، وتلجأ الشركات التجارية المشهورة الى علماء النفس والسيكولوجيا والسيكولوجيا والى خبراء الدعاية والإعلام والتصميم، من أجل صناعة منهجيات وآليات "الإقناع الخفي" حيث يتخذ "الكلام" منه الحيز الأكبر في عمليات "تضليل العقول وفبركة الأفكار"^(٢). لقد صرح رئيس نقابة العلاقات العامة التجارية في أميركا: بأنه يعمل "من أجل فبركة الأفكار"^(٣)، ان الترويج التجاري يهدف قبل بيع السلع الى "بيع الكلام" و "الأفكار والآراء"^(٤) "فالنساء مثلاً يشترين وعداً كلامياً... ومصنّعات أدوات التجميل لا يبيعون (مستحضرات تجميلية) فعسب، إنما يبيعون الآمال..."^(٥)، بواسطة عمليات الإقناع الخفي المرتكزة في أغلب الأحيان على التلاعبات الكلامية التشويقية الإغوائية الإغرائية.

1 - VANCE PACKARD, *La persuasion Clandistine*, Traduit de l'américain par HÉLÈNE CLAIREAU, calman - lévy. France, 1958.

2 - انظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، صفحة 10.

3 - المرجع ذاته.

4 - المرجع ذاته صفحة 8

5 - المرجع ذاته، صفحة 12، مع الملاحظة ان الترجمة هي بصرف.

مسرد المفاهيم والمصطلحات

أثرنا في كتابنا هذا ، وضع هذا الثبت ببعض المفاهيم والمصطلحات ، وبخاصة تلك المنقولة عن اللسان اليوناني ، سهيلاً وإرشاداً للقارئ ، لكي لا يجد صعوبة في فهمها والتعرف على معانيها ومدلولاتها ، وهدفنا الموضوعي في ذلك ، تعريف الناس أكانوا عاديين أم أكاديميين أم متخصصين على بعض المرتكزات النظرية والواقعية التي كانت بعض الاتجاهات السفسطانية تركز إليها ، لممارسة التفضيل بواسطة اللوغوس الكلامي بهدف السيطرة والتسلط على الجماهير ، محاكاة لما يدور رحاه في عالمنا المعاصر . كما هدفنا من وضع هذا الثبت تبسيط المعاني والألفاظ والمصطلحات ، لكي يتفهمها القارئ ويستوعبها ويتكيف مع تفسيراتها وشروحاتها ، ويتألف مع معانيها ، ولكي لا يشعر بأنها غريبة عنه ، كل ذلك للوصول الى قراءة ممتعة سهلة ، فعالة ، هادفة . وأتانا نوردناها على الشكل الآتي :

1 - أباتي : APPATÉ

إن اللوغوس عند السفسطائي غورجياس ، يحتوي في جوهره على الأباتي (AppatÉ) وهو مصطلح ذو أصل يوناني ، فهو مزيج من الخداع المقترن بالإغواء ويمكننا ان نطلق عليه " الخداع الإغواني " حسب غورجياس . ومن خلال إجراء المقاربات والمقارنات القاموسية تبين ان هذا المصطلح له معانٍ أخرى كالإحتيال ، والتلاعب ، والمخاتلة ، والطعم الإغرائي المجتذب المغوي الموهم ، وكل هذه الخصائص هي طرائق تضليلية كان اللوغوس الكلامي السفسطائي يستعملها للسيطرة على الشعب .

2- الإرستيك : ÉRISTIQUE

جدلية تضليلية كلامية سفسطائية تقوم على البهلوانية اللفظية ، والقياسات المُمَوَّهة التي لا تثبت شيئاً ، وغايتها الإفحام والتضليل .

3 - الاستقراء INDUCTION

منهج علمي ينطلق من الحقائق الجزئية المستخلصة من الواقع للتوصل إلى صوغ النتائج والأحكام العامة، وغالباً ما يستعمل المنهج الاستقرائي في عمليات التجريب والعلوم التجريبية .

4 - الاستنباط DÉDUCTION

منهج استدلاي ، ينطلق من حقائق يقينية أو بديهية أو مسلم بها ، لاستنتاج قضايا أخرى ، تتج منطقياً عنها، دون الحاجة الى التجربة ، ويعتمد الاستنباط غالباً على القياس المنطقي . وقد يستعمل الاستنباط عن معرفة أو عن جهل القياسات الخاطئة أو المُمَوَّهة ويؤدي ذلك الى عملية التضليل .

5 - الأميفالونس النفسي : AMBIVALENCE

حالة الشعور المزدوج في النفس ، يمكن ان تشعر في آن واحد وفي حالة مُعَيَّنة شعورين متناقضين ، هنالك طابع ازدواجي متأصل في النفس الإنسانية (الحب والكراهة) ، (الطهارة والدعارة) .

6- الأناطوطيقا : ANALYSE

التحليل في لغة العالم هو منهجية فكرية وعلمية، يقوم العقل بمقتضاياتها، بتفكيك مكوّنات قضية أو فكرة إلى أجزاء وعناصر، بهدف إستيضاح وإستبيان جوهرها

والتعرف إلى مُكوناتها وآليات عملها وخلفياتها.

التحليلات أو العلم التحليلي ، وكتاب التحليلات لأرسطو وهو من جملة أعمال أرسطو المنطقية ، ويشتمل هذا المبحث على: كتاب التحليلات الأولى *Les Premières Analytiques* وعلى كتاب التحليلات الثانية، *Les Secondes Analytiques* ومن خلال الأناطولوجيا الأولى هاجم أرسطو السفسطائيين ودحض استدلالهم معتبراً إياه استدلالاً يقوم على مُقدمات كاذبة زائفة وعلى براهين مُؤمَّهة .

- 7 - الأنتيلوجيا : ANTILOGIE

جدلية سفسطائية تضليلية تقوم على خطاب مزدوج المعاني ، فحول كل أمر يوجد خطابان يناقض أحدهما الآخر .

- 8 - الانطولوجيا : ANTHOLOGIE

العلم بالوجود بها هو موجود ، وبالنسبة لأرسطو هي " الفلسفة الأولى " والانطولوجي هو كل ما يتعلق بأصل وجوهر الكائن ، وبأصل القضايا الإنسانية المطروحة وجوهرها .

- 9 - الإيديولوجيا : IDÉOLOGIE

نطلق هذه التسمية على مجموعة من الآراء والأفكار في السياسة والأخلاق والدين ، وهي تعكس الحياة المادية للمجتمع وتطور معه ، وفي أغلب الأحيان تكون ناتجة عن وعي مزيف ، وتكون في بعض الأحيان تبريراً عقلياً يخفي عن ذاته الحقائق الواقعية عند الالتزام والإيمان بمسلّماتها وبمبادئها ، تصبح الإيديولوجيا سلاحاً صراعياً يسمى " السلاح الإيديولوجي " وهو سلاح صراعي معنوي

وفكري يوازي بفعاليته السلاح المادي .

- 10 - الباليونتولوجيا : PALÉONTOLOGIE

هو العلم الذي يبحث عن البقايا المتحجرة للكائنات الحية .

- 11 - البرغماتي أو البراغمية : PRAGMATISME

يتأصل معنى البرغماتية من كلمة " البراغما " اليونانية ، التي تشير الى فعل بمعنى العمل والعمل ، يقوم المذهب البرغماتي على عدة معايير أهمها : أن الأفكار الصحيحة هي الأفكار الناجحة ، والنجاح يرتبط بالنفع ، وبالتالي فإن صحتها أو فسادها مرتبط بالنفع والاستفادة والمصلحة ، فكل كذبة نافعة هي حقيقة ، وكل مبدأ أخلاقي غير نافع ليس هو بحقيقة . البرغماتية هي فلسفة الغرضية تتوصل العمل لغرض مُعَيَّن يؤدي الى الغرض المطلوب ، وهي فلسفة ذرائعية تتوصل كل الوسائل والذرائع للوصول الى تحقيق المنفعة .

- 12 - البرهان الممّوه : SOPHISMA

البرهان هو إقامة الدليل الحتمي أو العقلي على صحة رأي أو قضية . والبرهان الممّوه هو المتستر بحجج غير صحيحة ومزيفة ولا تستند الى أية أدلة حتمية أو عقلية . فلا تطابق فيه بين الكلام والواقع . ومثال ذلك ، البرهان الذي يعتمد في إقناع الآخرين على البلاغة والفصاحة التي لا تؤدي الى الوصول الى الأحكام إطلاقاً ، أو انها توصل الى احكام مضللة (بكر اللام) ، أو انها تتحوّل الى جمل فارغة المضمون تستبعد الشواهد الواقعية ، ويظهر ذلك في البرهان الشعري أو البرهان البلاغي الذي يتستر بالتوريات والاستعارات . وغالباً ما يستعمل هذا البرهان في عمليات التضليل السياسي والاجتماعي والأخلاقي . ويستعمل

البرهان الممّوه إستدلالات وقياسات عمّومة، لها شكل صحيح في ظاهرها، ولكنها تؤدي إلى نتائج باطلة، ويهدف هذا الإستدلال إلى إقناع الناس إقناعاً تضليلياً، والبرهان الممّوه يركن غالباً إلى «المغالطة» وهي آلية تضليلية، ترمي إلى الإيقاع في الغلط، في قضايا تشبه الصواب وهي ليست صواباً وفي قضايا تشبه الحق وهي ليست بحقيقة، أنها تضليل لها.

- 13 - بريون : PRÉPON

كلمة يونانية الأصل ، هي مرادفة للمصطلح الفرنسي Convenable أي "ملائم" وقد استعمل السفطاني غورجياس تقنيات الملائمات ، من خلال طرقه التضليلية الممارسة بواسطة اللاغوس الكلامي الموارب والإقناع بحسب الظروف ووفق المناسبات؛ فالتكيفية التضليلية تفرض مطابقة الكلام الموارب للظروف المواربة لإنتهاز الظروف السانحة والمناسبات الخصبة . وهذه التقنية غالباً ما يستعملها الخطباء المفضلّون (بكر اللام) ويُطلقون عليها تسمية " فن ارتجال الخطابات " .

- 14 - البيكاجوجيا : PSYCHAGOGIE

تعني " البيخي " في اللسان اليوناني النفس و " أغوغوس " معناه القائد ، فتصبح هذه العبارة تعني فن قيادة النفوس وتوجيهها بواسطة الإقناع والتضليل والسيطرة .

- 15 - البوليس : POLIS

تعني في اليونانية الدولة ، وقد تعني المدينة أيضاً ، وقد وردت بهذا المعنى الأخير في موضوعين أو ثلاثة في كتاب " السياسة " لأرسطو ، ومنها اشتقت كلمة

(بوليتيكوس) أي السياسة .

- 16 - البينذاتية : INTERSUBJECTIVITÉ

هو إصطلاح منقول عن الفرنسي المركب من كلمتين "inter" ومعناه الضمني،
البيني و "Subjective" ومعناه الذاتي .

يدل هذا الاصطلاح على علاقة ضمنية في ذاتية شيء، أو في ذاتية معنى،
أو فكرة . فيقال مثلاً ان العبارة تتضمن في تكوينها التناقض الذاتي ، كالقول ان
الإنسان هو مخلوق أبدي لا يظاله الفناء .

- 17 - التضليل السياسي : (MANIPULATION POLITIQUE)

مجموعة من الطرق والوسائل والآليات (الكذب ، الخداع ، التمويه ،
التلفيق ، الغموض ، التعمية ، المناورة الخ ...) والمستخدم في السياسة ، التي
تؤدي الى تضييع وتحيير وتعقيد المضلل (بفتح اللام) ، والتلاعب بمكوناته
العقلية والسيكولوجية والمعنوية ، وبالتالي الى توجيه سلوكه السياسي تبعاً لمصلحة
المضلل (بكسر اللام) ، قد يكشف المضلل (بفتح اللام) التضليل بعد فوات
الأوان . وأشد طرق التضليل ممارسة في السلطة ، التضليل الكلامي . وهو مجموعة
من الطرق والآليات الكلامية التي تُستخدم ، بهدف التأثير على نفوس وعقول
ومسلكيات الجماهير ، ويحتال التضليل الكلامي على إرادات الجماهير ويتلاعب
بها ، ويقودها حسب مشيته لا حسب مشيتها ، ويعمل ضد مصلحة المضلل
(بفتح اللام) ومن النماذج التي يستعملها نذكر مثلاً لا حصراً :

- الكلام التضليلي القووي (التهويل والتهديد) .

- الكلام التضليلي الاجتذابي (الإغواء ، التملق ، الديماغوجية)

- الكلام التضليلي التحريضي (التحريض ، الثوير ، التهيج)

- التضييل الدلالي (السيمنطقي) الذي يتلاعب بالدلالات الكلامية للخطاب

- 18 - الحرب السيكولوجية : LA GUERRE PSYCHOLOGIQUE

السيكولوجيا تدرس ظواهر النفس للكشف عن قوانينها ، أما الحرب النفسية فهي مجموعة من العمليات السيكولوجية، الهادفة الى التأثير في الجانب النفسي للعدو بغية الإيذاء او القتل النفسي ، أو بهدف تحطيمه معنوياً بِشَلِّ قدراته النفسية لإخضاعه والسيطرة عليه . ومن بعض آليات هذه الحرب : التهويل ، التخويف ، إثارة القلق ، استعراض القوة . وتُمارَس الحرب النفسية غالباً عبر وسائل الإعلام والدعاية وتُعوّل على " الكلام والمشهد " . وتسمى في بعض الأحيان الحرب الدعائية وهي مجموعة من العمليات الدعائية والإعلامية، التي بِشْنِها الخصم ضد خصمه عبر وسائل الدعاية كافة: المرئية منها والمسموعة ، المكتوبة ، المقروءة ، المتلفزة ، وهي تهدف الى ضرب المعنويات ، ومن بعض آلياتها : التشويه ، التعمية ، الكذب ، الاختلاق ، الخداع ، التمويه ، وهذه الحرب هي مُتممة للتضييل السياسي وللحرب السيكولوجية .

- 19 - الديماغوجيا : DÉMAGOGIE

طريقة في التضييل السياسي، وهي مجموعة من الأساليب الكلامية المتتوية، وضروب من المجاملة والمداهنة والتملق والتكيف، تهدف إلى التودد من الجماهير ومسايرتها، بغية خداعها وتضليلها والسيطرة عليها.

- 20 - الديناميس : DYNAMIS

يغلب على هذه الكلمة في اللسان اليوناني معنى القوة المادية (Force Physique) ويرادفها البعض بمعنى (Puissance) أي القدرة ،

وهناك تمايز بين المفهومين لأن القدرة هي قوة لم تتحقق، أمّا القوة المادية فهي تتحقق عملياً وحيّاً. لذلك آثرنا مرادفة كلمة ديناميس بالقوة بدل القدرة .

- 21 - الذوكسا ، الرأي : DOXA.

يعني الذوكسا في اليونانية "الرأي" و "الظن" ، وهو يحمل في جوهره إمكانية الريب والخطأ والتخمين والشك ، والانخداع .

ويقال الرأي العام المحلي ، الأقليمي ، والدولي أو العالمي . وهو كناية عن الصفات السيكولوجية التي يشترك فيها جميع أو بعض الناس ، في وطن ما ، أو في اقليم ما ، أو في سائر الدول حول قضية ما ، فيقال مثلاً إن الرأي العام الدولي يكره الحروب ، لجهة التمنيات والأمال على المستوى النظري المجرد العديم الفعالية ، لأن الرأي العام العالمي هو مستحيل التحقق ، لوجود عالم تنقسمه القوميات والاثنيات ، والطوائف ، والمذاهب ، والعقائد ، والإيديولوجيات والمصالح المختلفة والمتناقضة والمتضادة .

إن الرأي العام في أية دولة يقاس بمفاعيله الواقعية ، ومن العوامل المؤثرة بالرأي العام ، الدعاية بسائر تظاهراتها ، والإعلام بكافة وسائله وعمليات الإقناع الكلامي والمشهدى ، كما بسائر وسائل الاتصال المتطورة .

وتبقى عمليات التأثير بالرأي العام ، تفضيلاً له ، في حال لم يتطابق الإقناع الكلامي مع التطبيقات الفعلية الواقعية حيث يقترن القول بالتنفيذ .

- 22 - السيمولوجيا : SÉMIOLOGIE

تعني "السيمون" في اليونانية ، الإشارة أو الدلالة ، و "اللوغوس" "LOGOS" ، العلم ، فتصبح السيمولوجيا علم الدلالات والإشارات ، ويطلق عليها أيضاً في اللغة العربية "السيمائية" . إن السيمولوجيا هي محاولة

علمية لدراسة طبيعة الإشارات وجوهرها وبنيتها ودلالاتها والقوانين المتحكمة بها ، وهي لا تقتصر فقط على دراسة الدلالات والإشارات اللغوية والألسية والكلامية ، إنما تدرس أيضاً سائر الإشارات والدلالات المتظهرة في الصور والألوان والإيحاءات والمرح والرموز والتصوير والسينما ، كما أنواع الرسوم ولغة الجسد ، وبشكل عام تدرس كل الإشارات والدلالات الموجودة في الحياة الاجتماعية ، كما الإشارات والدلالات الناجمة عن السلوك الحيواني ، وتعمل أيضاً في فك رموز الشيفرة ، وتستخدمها أيضاً التأويلات في سائر مجالاتها .

- 23 - الشكبة الارتياية : SCEPTICISME

الشاك هو من يكتفي بأن يرى ، ويرفض أن يحكم ، والشكبة هي حالة من الشك، والتشكيك الارتياي هو مذهب يرفض أن يثبت أو ينفي ، وبالتالي أن يصدر حكماً .

- 24 - طوبيقا ، مَوَضع ، TOPIQUE :

في الاستعمال المنطقي عند "أرسطو" ، الموضوع هو المرتبة التي يقع فيها الكلام أو تقع فيها الأدلة، وقد يئن هذه المراتب في كتاب "طوبيقا" أو "المواضع" وهي من ضمن أجزاء "الخطابة" أو "البلاغة" وهو أحد أقسام "الأرغانون"، والأرغانون أي الوسيلة ، هو جملة أعمال أرسطو المنطقية ، وقد أطلقت هذه التسمية على أعمال أرسطو بمعنى أن الأرغانون هو وسيلة العلم وموضوعه الخاص بل هو العلم بعينه ، وقد سميت هذه الأعمال فيما بعد "اللوجيك" أي المنطق ، وربما كان أندرونيكوس الروديسي أحد شراح أرسطو أول من استخدم هذا اللفظ .

- 25 - العدمية : NIHLISME

مذهب ينكر في الأخلاقيات وجود القيم الأخلاقية ، وفي الفلسفة ينكر كل وجود. " من المستحيل إثبات الحقيقة " ولا يوجد شيء ". اعتمد هذا المذهب بعض فلاسفة الحركة الفسطائية في عمليات تضليل الشعب في البوليس اليونانية .

- 26 - الفارماخون : PHARMAKON

كلمة يونانية الأصل. لدى الفسطائي غورجياس ، الفارماخون يعني السم الذي يقتل ويداوي حسب استخداميته ، وقد مائل الكلام بالسم ، فالكلام يُسم ويقتل النفوس ، إذا استخدم طرائق التخويف والتهديد والتهويل وأيضاً دواوي النفوس إذا استخدم طرائق اللين واللفظ والمودة . والجدير ذكره ان الفسطائي غورجياس هو مصدر مهم للعلوم السيكلوجية ، التي تركز الى المداواة بالكلام ، لا بالأدوية ، لمعالجة المصابين بالأمراض السيكلوجية .

- 27 - القرينة : PRÉSOMPTION

أداة استدلال ينطلق منها المُستدل من واقعه معلومة للاستدلال عن واقعة مجهولة ، أو مشكوك فيها .

- 28 - القووية : QUI UTILISE LA FORCE

التي تستخدم القوة ، نقول مثلاً العدالة القووية أي تلك العدالة الممّوهة التي تكون غطاء لأعمال القوة . والكلام القوي ، الكلام الذي يستعمل القوة ، كالتهديد ، التخويف ، التحريض .

- 29 - كيروس (KÉROS) - كيروسكوبيا (KÉROSKOPIA) -
كيروسكوبوس (KÉROSKOPOS).

يفيد معنى كيروس في اللسان اليوناني الوقت، والظروف الخاصة المناسبة كما يفيد معنى الملاءمة. أما معنى كيروسكوبيا في اللسان اليوناني، فهو يفيد معنى الانتهاز أو التحيّن أو إغتنام الفرص، وعليه يصبح معنى كيروسكوبوس، المتتهز والمتحيّن أو مفتنم الفرص.

إن فلسفة الانتهازية اول من نظر لها وطبّقها هم اعلام الحركة السفسطائية، وخاصة غورجياس.

- 30 - اللوغوس : LOGOS.

يُعتقد ان اول من بحث في مسألة اللوغوس هو الفيلسوف اليوناني هيراقليطس.

اللوغوس بالنسبة له هو كل شيء، هو النظام الكوني، هو الاعتدال، التناسب، النظام الأبدي الثابت والكوني الوحيد للأشياء، انه القوة المُحرّكة، وتطوّر مفهوم اللوغوس، فأصبح يعني القول والكلام والنطق، والمعنى، والعقل، والعلم.

أما في الفلسفة الأفلاطونية والأفلوطينية (افلوطين)، هو كائن مُجرّد من المادة، وهو مُنظّم الكون بواسطة النفس الكلية.

في اللاهوت المسيحي "الكلمة" كلمة الله أي المسيح.

- 31 - اللوغوس السفسطائي : LE LOGOS SOPHISTIQUE

يعني عند بعض اعلام الحركة السفسطائية، الكلام والتلاعب الكلامي والدلالي بالألفاظ والمعاني والاستعارات، واستعمال المُناقِضات الكلامية ضمن المقولة الواحدة، وهو حركة تغليب الأفعال القولية الكلامية النطقية اللفظية الصوتية

على العمليات العقلية التفكيرية ، وتطوّر اللاغوس الكلامي ليجد تطبيقاته العملية بأساليب الخطابة والفصاحة والبلاغة، التي كان يمارسها السفسطائيون في المُجتمعات اليونانية، حيث أصبح سلطة الإقناع والخداع والإغواء والتضليل .

- 32 - المترون اثروبوس : MAITRON ANTHROPOS .

" الانثروبوس " في اللسان اليوناني هو الإنسان " والميترون " في ذات اللسان يعني المسيطر ، وقد أطلق هذا القول، زعيم الحركة السفسطانية بروتاغوراس، وقد استمدّه من الأساطير والميتولوجيا اليونانية (سوفوكل ، بندار ، كزيفون) كما ورد هذا القول عند هيراقليطس، وقد استلهم نيثشه مفهوم "السوبرمان" من "المترون اثروبوس".

- 33 - النبية السفسطائية : LE RELATIVISME SOPHISTI QUE

قاعدة فلسفية ، كان يستخدمها بعض السفسطائيين في عمليات التضليل السياسي والأخلاقي ، وتقوم هذه القاعدة على ان الإنسان هو مقياس جميع الأشياء ، والإنسان مُتغيّر ، والمقاييس مُتغيرة ، وان الانطباعة بآليات الإدراك الحسي، هي مصدر الأحكام ، وهي تعكس حكم الأحاسيس والإنفعالات المناقضة للأحكام الموضوعية .

- 34 - الهرمونطيقا: HÉRMENEUTIQUE التاويل أو التفسير .INTEPRÉTATION

وردت في اللسان اليوناني عند ارسطو بعبارة P ERI HÉRMENIAS (باري هرمينياس)، وهذا عمل من الأعمال الفكرية لأرسطو، وهو من جملة ما أطلق عليه "الأورغانون" أو "الوسيلة" كما أسلفنا الذكر ، وهذا العمل

هو رد على "الهرمونطيقا" السفسطائية، الهادفة الى تضليل الجماهير، والتي تعتمد النزعة الذاتية لا الموضوعية في تفسير القضايا والأمور ، فلا يوجد بالنسبة للحركة السفسطائية معيار موضوعي للحقيقة ، فالتأويل أو التفسير يحصلان حسب الأهواء والشعور والأحاسيس، أو حسب التمنيات السيكولوجية بحسب المنفعة والمصلحة .

وهذا المصطلح عند الفلاسفة المعاصرين يُستعمل في استخدامية تفسير أو تأويل النصوص ، فهناك منهجية التأويل بالرأي، المنطلقة من تفسير القضايا انطلاقاً من المواقف والتمنيات الذاتية والسيكولوجية ومنهجية التفسير الموضوعي التي تعتمد في شرح القضايا وتفسيرها على طرائق الإثبات وجمع الأدلة والبراهين. ويستعمل التأويل في شرح الحقائق الواقعية ، وفي تفسير الفنون على أنواعها، كما في تفسير النصوص، وأيضاً في عمليات التضليل الكلامي .

- 35 - اللا أدريّة : AGNOSTICISME

مصطلح يطلق على مجمل المذاهب الفلسفية الشديدة الاختلاف في ما بينها ، والتي تسلم بوجود مرتبة من مراتب الحقيقة التي لا يمكن معرفتها .

مَرد المصادر والمراجع

أ- باللغة العربية

- أبو حاة أحمد ، المقيد في البلاغة والتحليل الأدبي ، دار المنار للطباعة والنشر ، د. ت. - بيروت
- أبو زيد نصر حامد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي بيروت ، 2001 .
- أرسطو طاليس ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ودار العلم ، 1979 .
- أرسطو في السياسة ، نقله من الأصل اليوناني الى العربية وقدم له وعلق عليه الأب أوغطينس بربارة البولسي ، ط 3 ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، 1980 .
- إمام عبد الفتاح إمام ، المنهج الجدلي عند هيجل ، دراسة لمنطق هيجل ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1966 .
- أمبرتو ايكو ،
- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة وتقديم سعيد بنگراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2000 .
- العلامة ، تحليل المفهوم التاريخي ، ترجمة سعيد بنگراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2007 .
- بلانشي روبير ، المنطق وتاريخه حتى راسل ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1980 .
- جيمس ولیم ، البراجماتية ، ترجمة محمد علي العريان ، دار النهضة العربية ، 1965 .

- حامد خليل، المنطق البرغماتي عند تشارلز بيرس مؤسس البرغماتي، دار البنايع دمشق 1996.
- الدبّاغ مصطفى، المرجع في الحرب النفسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988.
- دورندان غي، الدعاية والدعاية السياسية، ترجمة رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986.
- ريكور بول، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003.
- سعد بّسام، في الدعاية السياسية، تاريخ ومضمون، شركة فوراس، بيروت، ط 1، 1992.
- سون زي، فن الحرب، تعريب وإعداد العميد الركن سمير الخادم والعميد الركن هونغ شاينغ، مؤسسة دار الریحان للطباعة والنشر، بيروت، 1998.
- ستيانا جورج، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جان ديوي، ترجمة فتح الله محمود المشمع، مكتبة المعارف، بيروت، 1975.
- عبد القادر حاتم محمد، الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.
- غصن أمينة، قراءات غير بريئة في التأويل والتلقي، دار الآداب، بيروت، ط 1، 1999.
- غيث جبروم، أفلاطون، جدلية الفساد والصراع الطبقي، جدلية المثل والمشاركة، جدلية الإصلاح والحرية والوحدة، المكتبة الشرقية، بيروت، 1970.
- فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق التقليدي، دار الطليعة، بيروت، 1979.
- قربان ملحم، المنهجية والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986.

القعود محمد عبد الرحمن، الإيهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، عدد 279، 2002.

• كابفيرير جان - نويل، الشائعات، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي بيروت، 2007.
• كانط عمانوئيل، نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، ترجمه وقدم له نبيل الخوري، دار صادر، بيروت، 1985.

• كسديس ثيوكارس، هيرقليطس، ترجمة حاتم سليمان، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 1987.

• كلاوس جورج، لغة السياسة، ترجمة ميشال كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط 2.
• لوبون غوستاف، سيكولوجية الجماهير، ترجمة هشام صالح، دار الساقي، بيروت، 1991.

• ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق، نقله الى العربية نديم علاء الدين، إبراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، 1987.

• مفتاح محمد المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، وبيروت 1994.

• هارل ليدل، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة هشام الأيوبي دار الطليعة بيروت، 1978.

• نخلة روفابل، (الأب)، غرائب اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط 5، 1986.

• نصر صلاح، الحرب النفسية، معركة الكلمة والمعتقد جزء 2، الوطن العربي ط 2، 1988.

• نوفل أحمد، الحرب النفسية، الجامعة الاردنية، كلية الشريعة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1985.

• يونان كلود، طرق التحليل السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) بيروت 2009.

بـ باللغات الأجنبية

- **ABOU Sélim, L'identité culturelle, Relation Interethniques et problèmes d'acculturation, Paris, Anthropos, 3ème Hachette 1995.**
- **BREHIER Emile , Histoire de la philosophie , P. U. F. T 1, 1985**
- **CHARLES Sanders peirce. Collected of charles Sanders Peirce, 8vols. (Cambridge: Harvard University Press, 1958-1931.**
 - **CHEVALIER jean – jaques , Histoire de la pensée politique payot paris , T 1, 1979 .**
 - **DHERBEY Romer Gilbert, Que sais – Je ? les Sophistes, P. U. F. 1985 .**
 - **DILTHEY, Le Monde de L'ésprit , Traduction de M . Remy. édition Auber Montaigne , S. D.**
- **DURANDIN GUY, Les Fondements du mensonge, Flamarion, Paris, 1972.**
- **GOURÉVICH JEN PAUL, LA PROPAGANDE DANS TOUS SES ÉTATS, Flamarion France, 1981.**
 - **RICOEUR Paul, De l'interprétation, Essai sur Freud, du Seuil, France, 1965 .**
 - **TCHAKHOTINE SERGE, LE VIOL DES FOULES PAR LA PROPAGANDE POLITIQUE. GALLIM,ARD. PARIS, 1976.**
 - **TRICOT, J, Traité de la logique Formelle, Troisième édition, Paris, Vrin, 1973 .**

UMBERTO ECO, A Theory of Semiotics, Advances in Semiotics
(Bloomington, Indiana University Press 1967).

* **UNTERSTEINER Mario, Les Sophistes**, traduit de L'Italien
et présenté par Alonso **TORDESILAS**, préface à la traduction
Française, Paris, Vrin, 2 Tomes, 1993 .

* **VANCE PAKARD, La persuasion Clandistine**, Traduit de
l'américain par **HÉLÈNE CLAIREAU**, calmann-lévy. France,
1958.

* **VOLKOFF Vladimir, Les désInformations arme de guerre**,
julliard/l'age d'home.

ج - لائحة بالموسوعات والقواميس والمعاجم باللغة العربية

* **أيوب فرنسوا**، ترجمة قاموس لاروس الفلسفي للديبدي جوليا، مع تخريج وتعليل
وتحليل نقدي، أطروحة دكتوراه دولة، بإشراف جبر فريد، جامعة القديس يوسف،
بيروت، 1981 .

* **أبو عرقوب ابراهيم**، معجم مصطلحات الحرب النفسية، الجامعة الاردنية، قسم
علم الاجتماع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1982 .

* **إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري الأفريقي**، لسان العرب،
مكتبة صادر، بيروت، دون تاريخ .

* **جبر فريد**، المعجم رفيق، دغيم سميح، جهامي جيرار، موسوعة مصطلحات
علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996 .

* **المعجم رفيق**، موسوعة أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،

1991 .

• ذكي بدوي أحمد ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ،

1993 .

• صليبا جيل ، المعجم الفلسفي ، أجزاء عدد 2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،

1982 .

• عبد النور جبور ، إدريس سهيل ، المنهل ، قاموس فرنسي - عربي ، دار العلم

للملايين . بيروت ، 1985 .

• الفقي محمد عبد الرحمن ، غلبيس فيليب ، قاموس يوناني - عربي ، مكتبة

السائح ، سوريا ، دون تاريخ .

• كامل عبد السيد صموئيل ، ثلاثينوس أرتيميس ، قاموس عربي - يوناني ، مكتبة

لبنان ، 1995 .

• قاموس لاروس ، فرنسي - عربي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1993 .

• لالاند أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات

عويدات ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1996 .

• الموسوعة العسكرية ، مجموعة من الضباط في العالم العربي ، المأزول عن التحرير

المقدم المهيم الأيوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج 1 ، ط 1 ، 1977 .

• الموسوعة الفلسفية العربية ، مجموعة الباحثين ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ،

1988 .

• موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، تقديم وإشراف ومراجعة العجم

رفيق ، مكتبة لبنان ناشرون ، أجزاء عدد 2 ، 1998 .

• المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، 1968 .

د- الجرائد والمجلات والمقالات :

• جريدة الحياة .

• مقالة بن راشد بن أحمد، قوة الوصف، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، المجلد 32 ، يوليو - سبتمبر ، 2003 .

• مقالة للدكتور كوثراني وجيه ، أساطير وأسطورة وأسطورة ، وصلة التاريخ بالأسطورة ، جريدة الحياة ، 5 نيسان 2001 .

• مقالة لعثمان عفيف ، بعنوان : « سلطة الفأوية » ، ملحق النهار ، 16 تشرين الأول 1999 .

هـ- لائحة بالموسوعات والقواميس باللغات الأجنبية

• GHASSANG . A . Nouveau Dictionnaire Grec – Français . Paris , Garnier Frère , Librairie – éditeur 1989 .

• KAZIMERSKI, Dictionnaire Arabe – Français, Librairie Du Liban, 2 tomes, Beyrouth, 1960 .

• LALAND André, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, P. U. F. 12 ème édition, 1979 .

• ROBERT paul, Petit robert, Dictionnaire de la Langue Française, Paris, 1989 .

- WEBSTER Merrian, Webster's Ninth, New Collegiate, Dictionary, Merrian-Webster Inc, Massachusetts, U.S.A., 1986.

الفهرس

| | |
|---------------|----|
| تقديم | 7 |
| المقدمة | 11 |
| تمهيد | 15 |

الفصل الأول

| | |
|--|----|
| هل الحركة الفسطائية حركة فلسفية؟ وما هي علاقتها بالتضليل | 23 |
| أولاً - التصادم الفكري بين الفسطائية والاتجاه القراطي | |
| الأفلاطوني الأرسطي | 25 |
| ثانياً - الجدلية الفسطائية التضليلية وتأثيرها | |
| في إنتاجية المنطق | 26 |
| ثالثاً - النزعات الفلسفية في الفكر الفسطائي | |
| وارتباطها بالتضليل | 31 |
| 1 - بعض الاتجاهات الفسطائية هي معلمة التضليل السياسي | 38 |
| 2 - المكونات البنائية لفلسفة التضليل عند الفسطائيين | 45 |

الفصل الثاني

| | |
|--|----|
| أهم طرق التضليل الكلامي عند الفسطائيين | 51 |
|--|----|

| | |
|---|----|
| أولاً - الإلتباسية منهجاً تفضيلياً | 53 |
| 1 - الأونتولوجيا | 53 |
| 2 - التفضيل الجدالي المغالطي | 57 |
| ثانياً - اللوغوس الكلامي وطرقه التفضيلية في الاتجاهات الفسطائية . | 59 |
| 1 - تأثير اللوغوس الميرقليطي على اللوغوس الفسطائي | 59 |
| 2 - في المقاربات اللغوية والمفهومية للوغوس بشكل عام | 59 |
| 3 - مفهومية اللوغوس بالنسبة للحركة الفسطائية | |
| وفي تغليب القول والكلام على العقل | 60 |
| ثالثاً - طرق اللوغوس الكلامي التفضيلية | 62 |
| 1 - مفهوم الأباتي | 62 |
| 2 - طرق الأباتي الكلامية التفضيلية | 65 |
| 3 - آليات التفضيل بواسطة اللوغوس الكلامي | 69 |
| 4 - التفضيل النفسي عند غورجياس بواسطة «البيكاغوجيا» . | 81 |
| 5 - التفضيل بطريق التكيف الياسمي الكلامي | 90 |
| رابعاً - التسترية التمويهية في التسميات | 94 |
| خامساً - هدف التفضيل عند الفسطائين بين «السيطرة» و «التلط» . | 95 |

الفصل الثالث

| | |
|---|-----|
| التفضيل الكلامي المعاصر وطرقه | 101 |
| أولاً - ترسانة التفضيل الكلامي | 103 |
| ثانياً: مفاعيل الكلام | 105 |
| ثالثاً - متخبات من الطرق المعاصرة للتفضيل الكلامي | 106 |

| | |
|-----|--|
| 106 | 1 - التليل الإيجاني بواسطة الكلام |
| 114 | 2 - التليل بالتسميم الكلامي |
| 119 | 3 - التليل بواسطة الاختلاق الكلامي |
| 128 | 4 - التليل بالتلاعبات الدالية للكلام |
| 137 | خاتمة |
| 141 | مرد المفاهيم والمصطلحات |
| 154 | مرد المصادر والمراجع |

منتہی سورا الازہکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

البحث في "التفليل الكلامي" هو أمر مهم ، والأهم من ذلك ، هو الغوص في أغوار "فلسفة التفليل الكلامي"، التي تحمل القارئ والمتخصص الى الإطلاع على بعض أهم الأسس الفلسفية الثابتة النظرية منها والعملية المكونة "للتفليل الكلامي" من خلال بعض اتجاهات "الحركة السفسطائية" التي انطلقت في تأسيس فلسفتها من منطلقات، خاصة بها، نذكر أهمها "القرّة" بسائر مظهراتها، وخاصة تلك الكلامية المقترنة "بالتفليل" الذي تعتبره "إلهياً" و "مقدساً". ان "التفليل الكلامي" الذي مارسته هذه الاتجاهات قديماً، ما زال هو ذاته يزاول اليوم بشدّة مع تطوّر وسائل الاتصال ، فهو يستخدم في الحروب السيكلوجية والسياسة والإعلامية والدعاية والاستخباراتية والديبلوماسية وفي صراعات التغيير الفكري والعقائدي ، والإيديولوجي. الكلام يمارس قوته السحرية الإغوائية ، العيفة والمتسلّطة ، يحرك ، يؤثر ، يهول ، يخون ، يفتح ، يتلاعب بالعقول والعواطف والشعور والغرائز والنفوس ، يُثوّرها ، يُغضبها ، يُفرحها ، يُحزنها ، يحرضها ، يشوّقها ، يداوئها ، يدمرها ، يقتلها. والكلام قد يضلّل سلوكنا، وقد تفصل به سلوك الآخرين.

د. كلود يونان: محام في الإستئناف. نقابة المحامين في بيروت

محاضر سابق في كلية الإعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية

يحمل

- دكتوراه فقه أوى في الفلسفة والعلوم الإنسانية من جامعة الروح القدس - الكسليك - لبنان.

- دبلوم دراسات عليا (DEA) في الفلسفة العامة من الجامعة اللبنانية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية).

الفرع الثاني.

- الإجازة في الفلسفة العامة - الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني.

- الإجازة في الحقوق - الجامعة اللبنانية (كلية الحقوق والعلوم السياسية) - الفرع الثاني.

- له عدة مؤلفات في الفكرين الفلسفي والسياسي أبرزها

طرق التفليل السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2009

ISBN 614-402-364-8



9 786144 023648